الشيطان والتبغ

قصص

ريونوسكيه أكوتاجاوا

ترجمة: حسين عيد

قصص

ريونوسكيه أكوتاجاوا

الشيطان والتبغ

قصص

الكتب خان للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة©

تقديم

هذه مجموعة قصصية جديدة للكاتب الياباني الكبير "ريونوسكيه أكوتاجاوا" (١٨٩٢ – ١٩٢٧) الذي يعتبر (أبا) للقصة اليابانية القصيرة (الحديثة) أو "أدجار آلان بو" اليابان على حد تعبير بعض النقاد. قال الكاتب الأرجنتيني «خورخي لويس بورخيس» عنه: **«يوجد إسراف ورعب في عمله، لكن ذلك لم ينصرف قط الى أسلوبه، الذي هو دائما شديد الوضوح».** وبعد أن قرأ الأديب الياباني العظيم «ناتسوم سوزيكي» قصص «أكوتاجاوا» القصيرة عندما كان مجرّد طالب، كتب اليه: **«لن يكون هناك من يجاريك في عالم الأدب».** جدير بالذكر أنه سبق للأديب كامل يوسف حسين أن ترجم مجموعة قصصية لأكوتاجاوا صدرت بعنوان «راشومون» عن الدائرة الثقافية بالشارقة عام ٢٠٠٤.

ورغم أن ريونوسكيه أكوتاجاوا لم يكن قد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره عندما أنهى حياته بالانتحار، الاّ أنه أبدع ما يربو على أكثر من مائة وخمسين قصة، جعلته يتبوأ مكانة مرموقة، ليس في الأدب الياباني وحده، بل كأحد أهمّ أقطاب القصة القصيرة في العالم أجمع.

نذر مشئومة

ولد ريونوسكيه أكوتاجاوا في طوكيو في الأول من مارس عام١٨٩٢، وهو الابن الوحيد لأسرة عاشت لأجيال في مقاطعة «شيتاماشي» بطوكيو، واشتهرت بتقاليدها الثقافية. كان أبوه «توشيزو شينهارا» يعمل تاجرا في صناعة الألبان. أصيبت الأم «فيكي نيهارا» مشوّشة الذهن لإحساسها بمسئوليتها عن موت ابنتها الصغرى، حتى جنّت بعد عدة أشهر من مولد «ريونوسكيه»، وانتهى بها الأمر محتجزة في مستشفى

للأمراض العقلية، حيث ماتت بعد تسعة أشهر من مولده. وحين لم يستطع أبوه أن يتولي رعايته، أجبر الطفل على ترك بيت الأسرة، بعد أن تبنته أسرة عمه «أكوتاجاوا دوشو»، وقامت على تربيته عمّة العانس «فيكي». وبعد عقد من انتقاله، أصبح تبنيه رسميا، فحمل لقب «أكوتاجاوا».

هنا، (أحداث) خارجية، دمغت طفولة «ريونوسكيه»، أولها (موت) أخت صغيرة سابقة له في المولد، وثانيها (جنون) ثم (موت) الأم في مستشفي للامراض العقلية. و(انفصاله) عن أسرته ليعيش في كنف أسرة عمه التي تولت تربيته ورعايته. ولنا أن نتخيّل تأثير وقع الموت والجنون على «ريونوسكيه» منذ يفاعته الأولى، حيث سيشكلان معا (خطرا) يتهدده بقية سنوات عمره القصير. فهل أدرك منذ تلك اللحظة دلالة الارتباط بـ(أسرة) ومعنى (التبني)؟ (وهو ما جعله يعود إليها بعد ذلك بسنوات، بعد أن استقرت به الأمور نجما في عالم الإبداع، وذلك في قصة «الطفل المهجور»، واضعا تفسيرا جديدا لمفهوم الأمومة). وهل انبعث في أعماقه منذ ذلك العمر المبكر (خوف) دفين من أن يرث جنون أمه فيجن مثلها؟ (وهو ما بدت أصداؤه في قصص السنوات الأخيرة من عمره، مثل قصة «تروس دوّارة»). وهل أضيف إليه خوف آخر من موت محوّم ينتظر الفرصة المناسبة للانقضاض عليه هو أيضا؟ وهل أثرت فيه تلك الاحداث وصنعت منه طفلا متوخدا دون أصدقاء؟

الأدب ملاذا

وفرّ بيت العم بيئة ثقافية حاضنة. كان عمّه خبيرا في نظم شعر «الهايكي»، وكان سكان البيت جميعا يحرصون علي تسميع نصوص الشعر القديم، وقراءة نصوص مسرح الدمي الكلاسيكية. كما كان البيت مزوّدا بقصص مصوّرة وقصص جنيات من عصر «ايدو» (١٦٠٠ – ١٨٦٨)، إضافة إلى كتب الأدب

الصيني الكلاسيكي، وبعض كتب من الإنتاج الأدبي الياباني المعاصر لـ»أوجي» و»ناتسوم زوسيكي».

هنا، ربما وجد ذلك الطفل الحساس المتوخد (ملاذا) في عالم الكلمة المكتوبة، فأقبل على (القراءة) بشغف، لأنها أتاحت الفرصة لخياله كي ينطلق على هواه متحررا من تبعات ومصاعب الواقع الخارجي التي يرزح تحتها. ولعلّ ذلك يبرز النهم الشديد إلى القراءة الذي اتسم به «ريونوسكيه»، حيث تجلي اهتمامه منذ الصغر بقراءة الروايات والقصص الغربية والروسية المترجمة عن الفرنسية والانجليزية والروسية إلى اللغة اليابانية، وهو ما فتح أمامه، بعد ذلك باب الانطلاق إلى عالم الأدب الرحب. وقد بدأ «ريونوسكيه» تعليمه خلال تلك السنوات، بالالتحاق بالمراحل التعليمية المختلفة، كما التحق بالمدرسة العليا عام ١٩١٠، وهناك تكوّنت حوله أول مجموعة من الأصدقاء من بين زملاء الدراسة الذين شاركوه نفس الاهتمامات الأدبية، أمثال «خان كيكيشي»، «كيم ماساو»، «ياماموتو ليزو»، و»تسيشيا بيتمي»، الذي أصبحوا بعد ذلك مؤلفين مشهورين.

ثم التحق بالجامعة الإمبراطورية بطوكيو عام ١٩١٣، حيث درس الأدب الانجليزي، وهو ما وسّع من دائرة اطلاعه على الآداب الأجنبية في ترجمتها الانجليزية، فكانت تلك خطوة هامة حفزته، بعد ذلك، على أن ينقل بعضا من تلك الأعمال إلى اللغة اليابانية، وربما كانت دافعا أيضا وراء حماسه، الذي بدا في العام التالي، حين أنشأ مع صديقيه «كيكيشي كان» و»كيم ماساو» مجلة «شين شيشو» (تيارات فكرية جديدة) الأدبية، التي نشر فيها ترجمته لرواية «بلتازار» لأناتول فرانس عام ١٩١٤، وكتابا آخر لجون كيتس.

ولعلّ ريونوسكيه»، كان قد جرّب كتابة القصة منذ عمر مبكر، لكنه اعتبر أنّ ما كتبه مجرّد تجارب أولية لا تستحق النشر. وربّما شعر خلال المرحلة الجامعية، وهو يترجم عددا من الأعمال الأجنبية بنبض داخلي خاص يحثه على أن يشقّ طريقه الخاص، لأنّ لديه مخزونا من التجارب والخبرات يطالب بحقه في البوح والبزوغ. وربّما كان نشر ترجماته محفزا على إقباله على نشر أولى قصصه وهي قصة «راشومون» عام ١٩١٥، لكنه ربّما لم يجرؤ على الدفع بها إلي مجلتهم الخاصة، فجرّب حظه مع مجلة «تيكوكي بينجاكي» (الأدب الإمبراطوري). وعندما نشرت، نالت قدرا كبيرا من الاستحسان، وأعجب بها الروائي المعروف «ناتسوم سوزيكي»، المحرر الأدبي للجريدة القومية اليابانية «أساهي»، وشجّعه على الاستمرار في الكتابة، وهو ما جعله يعتبر نفسه تلميذا له، وقام بزيارته والانتظام على حضور ندوته الأسبوعية (كلّ ثلاثاء). وبدأ في تلك الفترة نظم شعر «الهايكي». وكان النجاح الذي حالفه مشجعا له على أن يدفع بعد ذلك بقصة «الأذن» (١٩١٦)، للنشر في مجلة «شين شيشو».

تخرّج عام ١٩١٦ بعد أن قدّم أطروحة حول «وليام موريس». مارس التدريس بعد التخرّج لفترة في كلية الهندسة البحرية، لكنه رفض بعد ذلك عروضا للتدريس في جامعتي طوكيو وكيوتو نظرا لاقتناعه بضرورة التفرّغ للعمل الأدبي.

حلم الأسرة

لعلّ ريونوسكيه أكوتاجاوا، وهو يمضي حثيثا في مرحلة التعليم الجامعي، كان لديه (حلم) قديم يحمله بين جنباته، ذلك هو حلم (الأسرة)، التي حرم منها طفلا صغيرا، حتى بدت كجنة مفقودة يسعي إلى البحث عنها بدأب. وربّما يفسّر ذلك تعجّله الزواج، وهو ما زال طالبا يدرس، حين طلب من أسرته الجديدة أن يتزوّج من صديقة طفولته «يايوي يوشيدا»، لكن أسرته

التي تبنته رفضت هذا الارتباط. وقد ضايقه هذا الرفض، لكنه لم يكن يملك إلاّ النزول صاغرا أمام إرادتهم، وان ظلّ حلم الأسرة حاكما مسيطرا لا يستطيع الفكاك من قبضته. لذلك سرعان ما رجع إلى طرح مشروع الزواج مرة أخرى في عام ١٩١٦، مباشرة بعد أن تخرّج ووجد عملا، وان لم تكن هذه المرّة من صديقة طفولته، بل من فتاة أخري، هي «تسيكاموتو فيميكو»، وتمّ الزواج فعلا في عام ١٩١٨.

كم كانت سعادته بالغة في تلك الفترة، بعد أن حقق حلم الأسرة المرتجى الذي سرعان ما اكتمل بإنجاب «هيروشي»، في عام ١٩٢٠ (عاش حتى عام ١٩٨١، بعد أن أصبح ممثلا مشهورا). لكن ذلك لم يكن كافيا، فكان لابد من تدعيم أركان الأسرة الوليدة، فجاء ابنه الثاني «تاكاشي» في عام ١٩٢٢ (الذي عاش حتى قتل في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥). ثم أنجب ابنه الثالث «ياسيشي» عام ١٩٢٥ (الذي عاش حتى عام ١٩٨٩، وأصبح مؤلفا موسيقيا مشهورا)

بداية استقرار

في تلك الفترة، عاش «ريبنوسكيه» مرحلة (استقرار) بعد أن قوبلت أعماله بحفاوة، وتخرّج وعمل وكوّن أسرة. وبعد أن وقع عقدا مع جريدة «أوزاكا مينيشي»، وفر له راتبا وعمولة، على أن يمدّ الجريدة بما يبدع من أعمال، فاستقال أخيرا من عمله في التدريس. وبحلول عام ١٩١٩، كان ريبنوسكيه قد أصبح كاتبا متفرّغا تماما للإبداع.

قام ريبنوسكيه في تلك الفترة بنشر مجموعة من القصص كانت إعادة تفسير لبعض الأعمال الكلاسيكية والتاريخية من وجهة نظر حداثية مركبة، وهي القصص التي منحته شهرة في الداخل والخارج علي حدّ سواء (مثل قصة «وي شينج حسن

النية»). ثم فتح خياله الإبداعي أمامه مكنوز مملكته الخفية، فراح يقتطف منها ثمارا جديدة التكوين. وانظر إلى الكاتب الياباني الكبير «هاروكي موراكامي»، وهو يتحدث عن (موهبته)، في المقدمة التي كتبها لمجموعة قصص «راشومون وسبع عشرة قصة أخري» (٢٠٠٤)، بقوله انه **«كعازف بيانو يمتلك موهبة طبيعية لتقنية رائعة، حيث تتحرّك أصابعه بنعومة شديدة، بمثل هذا الوضوح. قد يتوقف أحيانا، إنّما كي يطيل النظر بعمق الى أغوار الموسيقى الداخلية، وذلك ما يؤكّد أنّه لا يمكن إلاّ أن يكون مسكونا بتلك الموهبة، قبل أن يعي بها».**

نشر أكوتاجاوا في تلك الفترة عددا من القصص الهامة منها: «المنديل» (١٩١٦)، «الرأس التي سقطت» (١٩١٧)، «خيط العنكبوت»، و«صور من الجحيم» (١٩١٨)، «شك»، «المسيح في نانج» (١٩١٩)، «حكاية غريبة»، و«الخريف» (١٩٢٠).

مرحلة عذاب

وفي مارس عام ١٩٢١، وهو في قفة تألقه الأدبي، قطع نشاطه الأدبي كي يقضي أربعة شهور في الصين كمراسل صحفي لجريدة «أوزاكا مينيشي شينبين»، لكن تلك الرحلة فتحت عليه أبواب العذاب في شنغهاي، حيث انقسمت معاناته، في تلك الفترة بين جانبين، أحدهما خفي غير ظاهر، تجلي في أرق وهلاوس مرئية قد تبلغ ذروتها بصداع عنيف. وجانب آخر واضح ظاهر، برز عبر عدد من الأمراض العضوية سواء أكانت مشاكل معوية أو غيرها.

لم تكن تلك المرحلة بداية رحلة عذاب رهيب فقط، بل انّها أثارت أيضا مخاوفه القديمة، ووضعته ثانية وجها لوجه مع رعب احتمال أن يكون قد ورث جنون أمه، إضافة إلى أنّها

أعادت إثارة خوفه الكامن من الموت، الذي يتحين الفرصة المناسبة ليضرب ضربته!

وضع جديد

توزّع إبداع الكاتب خلال السنوات التالية علي مرحلتين: الأولي عبر السنوات من عام ١٩٢١ وحتي عام ١٩٢٥ أمكنه خلالها أن يبدع قصصا بديعة، كما كان يفعل في السنوات السابقة، حيث نشر قصته المشهورة «في الأيكة» (١٩٢٢)، التي استعان بها بعد ذلك المخرج الياباني المشهور «أكيرو كيروساوا»، مع قصة «راشومون»، ليخرج منهما فيلمه العالمي المشهور «راشومون» (١٩٥٠). كما كتب في نفس العام قصصا أخري، منها «الحديقة»، و«سحر». وانخرط بدءا من عام ١٩٢٣ حتى عام ١٩٢٥، في كتابة البديع «كلمات قزم»، الذي قدّم فيه تعبيرا بليغا حول خلاصة رؤاه الفنية والفكرية والنقدية بأسلوب شعري بسيط يتسم برهافة متناهية.

جاءت مرحلة أكوتاجاوا الأدبية الثانية والأخيرة، خلال العامين الأخيرين من حياته (١٩٢٦، ١٩٢٧)، موسومة بظروف تدهور صحته الذهنية والبدنية، فجاء كثير من أعماله خلال تلك الفترة متأثرا تماما بطابع السيرة الشخصية، بل إنّ بعضا منها أخذه مباشرة من يومياته، ومن أمثلة تلك الأعمال، التي كتبها خلال عام ١٩٢٦، قصص «الحياة المبكرة لدايدوجي شينسيك»، «كارمن»، و«تسجيل موت» و«كابا» التي كانت من أخريات أعماله (١٩٢٧)، وهي مقطوعة هجائية اعتمدت على مخلوق من الفن الشعبي الياباني، وقصة «تروس دوّارة» (١٩٢٧)، التي تعتبر قصة رعب، تعتمد على ذهن حساس يفقد بالتدريج تماسكه إزاء الواقع الخارجي. كما جاءت في نفس السياق قصة «حياة غبي» (١٩٢٧)، التي كشفت القناع عن كثير من جوانب حالته النفسية في نزعها الأخير.

بدأ أكوتاجاوا في نهاية حياته يعاني من هلاوس مرئية وعصبية فوق ما كان يعانيه من خوف من أن يكون قد ورث جنون أمه. ومع تفاقم حالته، اتخذ قرارا بالانتحار، وهو ما عبر عنه في رسالة إلى صديقه القديم منذ أيام المدرسة العليا «كيم ماساو»، أرسلها بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٢٧، بعنوان **«مذكرة إلى صديق معين قديم»**.

وفي اليوم التالي، ٢٤ يوليو١٩٢٧، انتحر «ريونوسكيه أكوتاجاوا» بتناول جرعة زائدة من الـ«فيرونال» وهو في الخامسة والثلاثين فقط من عمره.

محاولة للفهم

كانت رحلة حياة ريونوسكيه أكوتاجاوا رحلة غريبة، نادرا ما تتكرر، بدءا من بداياتها الأولى المسكونة بنذر شؤم ثم خوفه من وراثة الجنون عن أمه ومن الموت الذي يطارده دون هوادة. وسيظلّ طوال عمره يتساءل، مثلما فعل في قصة «تروس دوّارة»: **«لماذا جنت أمي؟ لماذا فشل أبي في مجال الأعمال؟ لماذا أعاقب؟»**. وستظلّ تلك الأسئلة تطرق أبواب وحدته المضنية دون أن تجد إجابة شافية.

قد يقول قائل، أن ما دفع به إلى الانتحار، هو أنه أكتشف حقيقة الحياة من حوله، كما أوضحها في قصة «تروس دوارة»، حين كتب بطل القصة وهو في طريقه إلى مستشفي المجانين **«غمرني شعور أنّ كلّ شيء مجرّد كذبة. كلّ السياسة، مجال الأعمال، الفن، العلم، في مواجهة ما أنا فيه الآن، لم يكن شيئا، بل مجرّد تغطية لهذا الوجود المرعب»**. لكن لا يمكن التعويل على انّ هذا الاكتشاف وحده كان هو السبب، لأنه كأديب سبق أن اكتشف تلك الحقيقة من خلال أعماله القصصية، ومنها قصة **«الحكيم الخالد»**.

قد يحاجج آخرون بأنّ ظروف صحته النفسية والبدينة المتفاقمة هي السبب الرئيسي وراء انتحاره. قد يكون في هذا القول بعض الصحة، لكنه لن يكون السبب الجوهري، بل سيكون مجرّد عامل مساعد.

والآن، إذا رجعنا مجددا إلى قصة «تروس دوارة»، وهي من أخريات القصص التي كتبها قبل وفاته، وأعتمد فيها على جانب من سيرة حياته سنجد فيها، مفتاحا كاشفا لشخصه، بدا وهو يقرأ في كتاب «دين»، أنّ هناك **«أربعة أعداء مميتة: شك، خوف، غرور، ومرض». ثارت نفسي فورا من تلك الكلمات. كانت هذه الأعداء، مجرّد أسماء أخرى للحساسية والذكاء».** انّه نفس ذكيّه حسّاسة، يمرضها ما تراه حولها من فساد، وتأسى لما يعانية البشر من استلاب. لكنه بهذا التكوين المرهف الحسّ، وجد عزاءه و(ملاذه) الوحيد بين الكتب.

وإذا كانت القراءة تمنحه عزاء، فانّ هناك فعلا آخر وحيدا يمنحه (حياة). انه فعل (الكتابة)، وهو ما تبذى في نفس قصة «تروس دوارة»، بعد أن تدفق القلم، وكتب عدّة ساعات متصلة **«كان وهم الامتداد غير معتاد أكثر هذه المرّة. شعرت بفرح وحشي، من أنه لم يكن هناك أبوان، أو زوجة، أو أطفال، فكلّ ما كان لديّ هي الحياة، التي تدفقت من قلمي»**

هذا هو الفعل الوحيد الحاسم، الذي تفرّغ له، وأوقف حياته القصيرة عليه. وفي السنوات الأولى من سنوات العذاب الستّ، أمكن لخياله أن ينطلق، ويبدع أعمالا متميزة. لكن في السنتين الأخيرتين، ومع تفاقم حالتة، أصبح خياله مقيّدا، رهين أعصابه المريضة، فلجأ إلى حلّ عملي، هو إنتاج أعمال (سيرية) مستوحاة من واقعه، ترصد ما يحدث له، دائرة تقع جميعها في ذلك الفلك الحزين، هاجسة في نفس الوقت بانهيار حتمي قادم.

تعددت نذره.

وعندما لامست أعصابه القاع، وسدت في وجهه السبل، وأصبحت ممارسة الإبداع أمرا ليس صعبا فقط بل مستحيلا، عندئذ، وعندئذ فقط، كان قد قارب النهاية، ولم يكن ممكنا أن يستمر، بعد أن فقدت الحياة معناها، وهو ما أوضحه في «مذكرة إلي صديق معين قديم»، حين كتب **«أعيش الآن في عالم جليدي واضح لأعصاب مريضة»**. واستطرد في موضع آخر: **«ينبغي أن يمنحني هذا الموت الاختياري سلاما، إن لم تكن سعادة»**.

ربما وجد «أكوتاجاوا» سعادته الخاصة في الرحيل، لكنه ترك لنا سعادة أخرى بقراءة أعماله الأدبية الرائعة!

حسين عيد

القاهرة – يونيو

٢٠١١

وي شينج حسن النية[1]

تباطأ "وي شينج" تحت الجسر. كان ينتظر منذ فترة قصيرة أن تأتي المرأة. رأى وهو يتطلع إلي أعلى أن الكرمات زحفت تقريبا على امتداد جسر الحجارة العالي. قد تومض الأحجار الكريمة الخاصة باللون الأبيض لعابري السبيل العرضيين بشكل زاه من خلال المشهد عبر السور وهي تخفق بلطف وسط النسيم. لكن المرأة لم تأت بعد.

نظر "وي شينج" جذلا، مصفرا بهدوء، عبر المرتفع الرملي تحت الجسر. امتد طين المرتفع الرملي الأصفر حوالي أربع ياردات فقط، وبدا الماء فيما وراء ذلك. كان هناك عدد من فتحات مستديرة بين قصبات الغاب على حافة الماء، لابد أنها كانت مأوى لسرطانات البحر. أمكنه أن يسمع صوت قرقرة خافت كلما دهمتها موجة. لكن المرأة لم تأت بعد.

انتقل "وي شينج" إلى حافة الماء، كما لو كان يبدأ بمراقبة مرور الوقت محدقا إلى مجرى النهر الهادئ الذي لم تكن تعبره أي مراكب.

كان مجرى النهر مكسوا بكثافة بقصبات الغاب الخضراء. نمت بوفرة هنا وهناك أشجار صفصاف دائرية، بالإضافة إلى تلك القصبات. لم يكن ممكنا، لذلك السبب، رؤية سطح الماء وهو يتلوى عريضا ممتدا بقدر ما كان فعلا. وعلى أية حال، فقد تعزز اندفاع الماء الواضح بصمت خلال قصبات الغاب، ممهوها بانعكاسات سحب تشبه الزجاج. لكن المرأة لم تأت بعد.

تجول "وي شينج" حول حافة الماء، ذاهبا هنا وهناك على المرتفع الرملي، الذي لم يعد له نفس العرض. تقدم الفسق ببطء، بينما كان ينصت إلى السكون من حوله.

لم تكن هناك أية إشارة إلى مسافرين فوق الجسر لفترة قصيرة. لم يسمع صوت وطأ أية أحذية، من هناك بأعلى، أو أصوات حوافر، أو أصوات أية عجلات. لكنه سمع فعلا صوت النسيم، صوت قصبات الغاب، صوت الماء، وجاء من مكان ما بكاء ثاقب لمالك الحزين. توقف، مفكرا بعمق، حيث كان متيقنا بأن المد يجيء الآن. تألق الماء، الذي غسل الطين الأصفر أكثر قربا عما كان عليه من قبل. لكن المرأة لم تأت بعد.

قوس "وي شينج" حاجبيه بحذة، بادئا السير بعجلة على المرتفع الرملي المضاء بشكل خافت تحت الجسر. ارتفع ماء النهر على المرتفع الرملي، بوصة بعد بوصة، ثم قدما قدما. زادت، في نفس الوقت، روائح الطحالب وماء النهر، مولدة برودة عبر جلده. عندما نظر لأعلى، كانت أشعة الشمس المبهرجة المشرقة قد اختفت من الجسر. ظهر سور الجسر الحجري مظلما

أمام سماء المياه الزرقاء العارية. لكن المرأة لم تأت بعد.

وقف "وي شينج" أخيرا، ثابتا في مكانه. نافعا حذاءه ذا الرقبة في ماء النهر الذي انتشر أسفل الجسر، مبرزا برودة أقوى من الصلب. حالا سيخفي المذ الوحشي ركبتيه، بطنه، صدره بالتأكيد. استمز الماء في الحقيقة بالارتفاع حتى غمر ساقيه فعلا. لكن المرأة مازالت لم تأت.

أدار "وي شينج" عينيه مرارا وتكرارا إلي السماء كأمل وحيد باق، بينما هو واقف في الماء، عبر الجسر. ارتفعت ظلال مظلمة من الماء غمرت ركبتيه وأحاطته بغشاوة ضبابية. سمع حفيفا وحيدا لقصبات الغاب وأشجار الصفصاف خلال الغشاوة. لمست سمكة أنف "وي شينج"، وهي تسبح، ربما كانت سمكة شبص، ومض بطنها الأبيض أمامه. يمكن أن ترى نجوم، ولو قليل منها، في الجو الذي قفزت السمكة خلاله، وامتزج شكل سور الجسر وكرماته مع ظلام الليل. لكن المرأة لم تأت بعد.

متأخرا في الليل، عندما غسل ضوء القمر قصبات الغاب والصفصاف، وتبادل ماء النهر غمغمات هادئة مع نسيم عليل، انتقلت جثة "وي شينج" بهدوء من تحت الجسر إلى البحر. ربما كانت روح "وي شينج" تتوق إلى ضوء القمر العالي المتوخد في السماء، منزلقة خارج بدنه، صاعدة بهدوء نحو السماء المتوهجة قليلا، بينما رائحة الماء والطحالب ترتفع خامدة من النهر.

منذ ذلك الوقت، بمرور عدة آلاف من السنين، واجهت هذه الروح تقفصات غير معدودة، كان لابد أن تمنح الحياة في شكل إنساني مزة أخري. هذه هي الروح، التي تسكن في. لذلك، وبالرغم من أنني ولدت في الزمن الحاضر، فإنني غير قادر على أن أقوم بأي عمل ذي مغزى. أقضي حياتي في حلم مطرد. منتظرا نهارا وليلا شيئا يتعذر وصفه، لكنه سيجيء حتما. تماما مثلما وقف "وي شينج" تحت الجسر في نهاية يوم منتظرا إلى الأبد محبوبته التي لن تجيء أبدا.

---

1 من تقديم «جنيف جيل كو» مترجم القصة الى الانجليزية: «يشير عنوان هذه القصة إلي مرجع من أمثال، معبرة عن شخص مخلص حتى الموت، يستخدم بإعجاب أو بشكل ساخر أحيانا، اعتمادا علي موقف الفرد الخاص تجاه الموازنة بين المبدأ والذريعة. إنها قصة «سو كين» الواردة ضمن التاريخ الكلاسيكي، مثلما تكررت في الكلاسيكيات الصينية أيضا. يمتلك النص الأصلي كلّ الإيجاز المرافق للكلاسيكيات الصينية: حين كتب في ٢١ كلمة، هي «الله إخلاص مثل ذلك الذي امتلكه وي شينج، الذي انتظر

امرأة تحت جسر. لم تأت المرأة. ارتفع الماء، ولم يهبط، فتعلق بعمود، ومات»

نص أكوتاجاوا مماثل في معالجته للنصوص الصينية واليابانية المعروفة. انه يدخل ١٥٠٠ كلمة معادلة للتفاصيل الخارجية، التي تعرض صبر البطل، وتولد نفاذ صبر القارئ، ثم تثبت ملاحظة تربط القصة القديمة مع العالم الحديث».

ذهب رجل، منذ عهد بعيد، كي يجد عملا في "أوزاكا". لا أتذكر ماذا كان اسمه. لكن طالما أنه عمل كمساعد مطبخ فيمكننا أن ندعوه "جونسيك".

دخل "جونسيك" مكتب توظيف وسأل الكاتب الذي كان مستمرا في تدخين غليونه أن يساعده كي يجد عملا:

- **أوه، أيها الكاتب! كم أود أن أكون "طاو"[2] خالدا، رجاء وجهني الوجهة الصحيحة.**

انفتح فم الكاتب. لم يقل أي شيء لوهلة. استمر الرجل يقول:

- **أيها الكاتب؟ هل تسمعني؟ أريد أن أكون حكيما لذا رجاء وجهني الوجهة الصحيحة.**
- **أنا أسف حقا، لكن..**

رجع الكاتب ينفث بعد ذلك دخان غليونه بشكل متقطع، وهو يقول:

- **لم يأت أي شخص أبدا إلي هذا المكان طالبا وظيفة حكيم، لذلك أخشى ان عليك أن تبحث في مكان آخر.**

لكن "جونسيك" لم يستسلم. اقترب من الكاتب، وبدأ يوضح مطلبه:

- **لابد أن هناك خطأ ما. هل تتذكر ما هو مكتوب على لافتة بابك؟ ألا تقول "مهن من كل الأنواع"؟ وطالما أنها تقول "كل الأنواع"، فلابد أن تكون قادرا علي أن تجد لي موقعا. إذا لم يكن ذلك صحيحا، ستكون لافتتك كاذبة، أليس كذلك؟**

حين تنظر إلى الأمر بهذا الشكل فلا عجب أن تستاء كما فعل "جونسيك".

قام الكاتب بعمل ملتبس وقبل طلب "جونسيك"، وهو يقول:

- **لا، اللافتة لا تكذب. أرجو أن تعود غدا إذا أردتني أن أجد وظيفة حكيم. سأقضي اليوم بحثا عن واحدة.**

لم يكن ذلك يعني أن الكاتب يعرف أين يتدرب فرد ما كي يصبح حكيما، أو حتى إن كان مثل ذلك الأمر ممكنا. لذلك ما أن انصرف جونسيك، حتى ذهب الكاتب إلي

بيت طبيب الحي، حيث شرح له مطلب جونسيك، ثم تساءل:

- **ما رأيك، أيها الطبيب؟ ما هو أفضل عمل يمكن تعلمه حتى يصبح فرد ما حكيما؟**

تحير الطبيب أيضا. جلس لفترة قصيرة طاويا ذراعيه، محدقا إلي شجرة صنوبر في حديقته. لكن عندما أنهى الكاتب حديثه، جاء صوت من الغرفة الداخلية. كان صوت زوجة الطبيب، الملقبة بـ"أولد فوكس"[3]:

- **أرسله إلي! إذا جاء إلى هنا سأجعل منه حكيما في عدة سنوات.**
- **حقا؟ إن ذلك رائع! إنني مدين لك بشدة. لقد عرفت حالا ان هناك علاقة بين الحكماء والطب.**

انحني الكاتب، الذي لم يعرف شيئا أفضل، مرارا وتكرارا، ثم انصرف مغتبطا. لكن الطبيب استدار بنظرة مؤلمة محدثا زوجته بمرارة:

- **أي نوع من الغباء كان ذلك؟ أنت لا تستطيعين تعليم ذلك الريفي أي شيء ، مهما كان طول المدة التي سيعمل فيها. ماذا ستفعلين حين يكتشف الأمر؟**

لكن زوجة الطبيب لم تعتذر، بل ضحكت، في الحقيقة بشكل ساخر، وأسكتت الطبيب:

- **فلتبق أنت في حالك! ليس هناك طريق يمكن لأمين أحمق مثلك أن يتلفسه في هذا العالم المز.**

جاء الريفي "جونسيك" في صباح اليوم التالي، حسب الاتفاق. هيأ "جونسيك" نفسه هذه المرة لذلك اللقاء بارتداء معطف رسمي كامل متوج. ورغم ذلك كان مازال يبدو كفلاح عادي. كان مظهره، على الأقل، مثيرا للدهشة، حتى أن الطبيب حدق إليه كما لو كان أمام وحش بزي من الهند، وهو يتكلم معه بلهجة من عدم التصديق:

- **لقد سمعت أنك تريد أن تكون حكيما. من أين استقيت فكرة كتلك؟**
- **ليس هناك سبب محدد. لكن حين رأيت قلعة "أوزاكا"، فكرت في أن رجالا عظماء مثل "هيديوشي"[4]، ماتوا**

عاجلا أم آجلا. الحياة تنقضي وحجم ما حصلت عليه من شرف أو مجد لا يعني شيئا.

فتحت الزوجة البارعة فمها بالكاد عندما تكلمت:

- **وهكذا ترغب في القيام بأي شيء، كي تصبح حكيما؟**
- **هذا صحيح. سأفعل أي شيء، حتى أصبح حكيما.**
- **إذا، تعال واخدمني لمدة عشرين عاما. إذا أمكنك أن تفعل ذلك، ففي نهاية العشرين عاما، سأعلمك أسرار الخلود.**
- **هل ستفعلين حقا؟ لا شيء أكثر من هذا يجعلني أسعد.**
- **لكن بالمقابل ستعمل لمدة عشرين عاما، دون أي أجر على الإطلاق.**
- **نعم، نعم. أفهم ذلك.**

وهكذا عمل "جونسيك" عشرين عاما لحساب الـ"أولد فوكس". سحب ماء. قطع حطبا. طبخ. كنس. وعندما كان الطبيب يخرج كان يرافقه حاملا خزانة الأدوية. ولم يطلب أي نقود كأجر. يمكنك أن تنقب في كل أرجاء اليابان ولن تجد أبدا مثل هذا الخادم النفيس.

أخيرا انقضت السنوات العشرين، وارتدي "جونسيك" ثانية المعطف المتوج، ودخل، ووقف أمام سيده وسيدته. تحدث عن مقابل الخدمة التي أداها بكياسة لمدة عشرين عاما، قائلا:

- **جاء الوقت كي تعلميني، كما وعدت منذ زمن طويل سز أن أصبح حكيما، لا يشيخ أبدا، ولا يموت.**

بينما كان جونسيك يتحدث، جلس الطبيب مطبق الشفتين. لقد ترك "جونسيك" يعمل لمدة عشرين عاما، دون أن يعرف شيئا واحدا من أسرار الحكماء. هناك فقط شيء واحد يمكن قوله:

- **إن زوجتي هي الشخص، الذي يعرف سز أن تصبح حكيما. دعها تعلمك.**

تكلم الطبيب بصراحة، لكن زوجته ظلت هادئة، وهي تقول:

- **حسنا، سأعلمك السر، لكن سيكون عليك أن تنفذ ما**

أقول، مهما بدا صعبا. وإلا لن تصبح حكيما، بل والأكثر من ذلك، ستعاقب بالموت، إذا لم تعمل دون أجر للعشرين سنة التالية.

- **نعم، نعم! سأفعل، مهما كان ما تقولين، ليس مهما مدى الصعوبة.**

بالكاد أمكن لـ"جونسيك" أن يسيطر على انفعالاته، وهو ينتظر أن تتحدث زوجة الطبيب.

- **إذن، تسلق تلك الشجرة.**

لم تكن زوجة الطبيب تعرف شيئا حول كيف يمكن للمرء أن يصبح حكيما، لذلك توجب عليها أن تطلب من "جونسيك" عملا لا يستطيع أن ينجزه. وحين يفشل سيكون عليه أن يعمل خادما دون أجر لعشرين سنة أخرى. لكنها ما أن تكلمت، حتى هرول "جونسيك" إلى الحديقة وبدأ في تسلق شجرة الصنوبر.

اتكأت "أولد فوكس" على السور، وهي تراقب "جونسيك" أثناء صعوده الشجرة، قائلة:

- **لأعلى! تسلق لأعلى حتى القمة.**

وسرعان ما أمكنها أن ترى المعطف المتوج الذي كان يرتديه "جونسيك"، هناك في أعلى قفة الشجرة. قالت:

- **حرر الآن يدك اليمني!**

بدأ جونسيك يحرر يده اليمني ببطء، معانقا جذع الشجرة بإحكام بذراعه اليسرى.

- **حسنا! حرر الآن يدك اليسرى!**
- **لا! انتظر!**

صاح الطبيب، بعد أن خرج إلى السور، مع نظرة قلقة، مستطردا:

- **إذا حرر يده اليسري، سيسقط الساذج. وإذا سقط على الصخور سيموت بالتأكيد!**
- **هذا ليس من شأنك. دعني أتولي الأمر. حرر الآن يدك اليسري!**

قبل أن تنهي كلماتها، حرر "جونسيك" يده اليسري. بطبيعة الحال حين يتسلق فرد شجرة حتى قمتها، وما أن يحرر كلتا يديه، فلن يكون أمامه سوى السقوط.

ولكن وقبل أن يتلفظ الطبيب بحرف، اختفى المعطف المتوج، الذي كان يرتديه "جونسيك"، من قمة شجرة الصفصاف. لكن الغريب في الأمر، أن "جونسيك" لم يكن يسقط، بل تعلق هناك في ضوء شمس الظهيرة مثل دمية بخيوط.

وسرعان ما انساب صوت "جونسيك" إلى أسفل بلطف:

- **إنني شديد الامتنان!**

ثم استطرد:

- **شكرا لك، فقد أمكنني أن أصبح حكيما!**

وداس في الهواء بسلام وهو يصعد بين السحب إلى أعلى وأعلى.

---

2 الطاو: «سبيل الفضيلة في الكونفوشيوسية». المورد.

3 «أولد فوكس» تعني في ترجمتها الانجليزية «الثعلب العجوز»

4 هو تويوتومي هيديوشي (١٥٣٦ – ١٥٩٨)، يعتبر من أهم القادة العسكريين اليابانيين، الذي حقق أمجادا لا تحصى، لدرجة أن المؤرخين أطلقوا عليه «نابليون اليابان»

نشر مستشرق عدواني هراء في مجلة "Fujin no Kuni"، التي تعني حرفيا ("بلد النساء"). هذا هو النص. نشرت ترجمته بعد ذلك، ذات مرة، دون تحرير. للأسف.

هل حكاية "زرياد" معروفة لكم جميعا؟

كانت "زرياد" أميرة جميلة. وحتى نضع الأمور كلها وفق شروط أدبية، قبل أن قدميها كانتا ناعمتي الملمس، فخذيها مثل عاج، نحرها مثل لؤلؤة رصينة، بطنها مثل جزة مرمر، صدرها مثل باقة زنابق، مؤخرة عنقها مثل حمامة، شعرها مثل عشب معطر، عينيها مثل بركتين في حديقة قصر، وأنفها مثل برج على بوابة عظيمة، لذلك لابد أنها كانت هي الفتاة الوحيدة الفريدة بين مليون من الجميلات.

قبل انقضاء وقت طويل، أصبحت "زرياد" سريعا شابة. وهكذا تقرر العثور على شريك مناسب للزواج. ومادام ذلك قد حدث في اليابان، فمن المحتمل أن يبحثوا عن شخص يكون وسيطا: علاقة، أحد المعارف، رئيس مدرسة البنات العليا، أو شخص آخر عديم الفائدة تماما. ولو حدث ذلك في الغرب، فلربما جلست أمها أو أخواتها كمستشارات، كي يضعن خطة إستراتيجية لتصيد الزوج المرتقب. لكن "زرياد" لم تكن فقط مجرد أميرة، بل كانت شديدة الذكاء أيضا، ولذلك قررت أن تختار بنفسها أميرا أو ابن وزير.

ويقال بعد أن قررت "زرياد" أن تتزوج، ان قائمة المرشحين، التي أوشك على تقديمها، استغرق إعدادها ثلاث سنوات وسبعة أشهر وستة عشر يوما. يوجد النص الأصلي لتلك القائمة في قسم "بلاد العرب" من المكتبة الشرقية، تحت حرف "ز" بمجلد رقم ١٢٨، وأدعو المولعين بالدراسة إلى اختبار القائمة بأنفسهم. سأورد هنا الخطوط العامة للمرشحين فقط دون أن أهتم بالأسماء وما شابه ذلك.

1. أمير هندي. كانت بنية جسمه رائعة بشكل يفوق الوصف، لكنه لم يكن حكيما تماما. قيل انه أخطأ ذات مرة في فيل ظنه جبلا، فاقترب منه كثيرا لدرجة أن الفيل كاد يسحقه.
2. أمير فارسي. قيل أنه كان جميلا كامرأة، ورغم ذلك ملتهبا بعاطفة فانية. كان لديه فعلا ٦٠٠ محظية، ٢٢٠٠ زوجة، أما بالنسبة للفتيات من العبيد .. حسنا، كان لديه عشرات

الآلاف منهن، لدرجة أنه لا يمكن للفرد أن يخفن عددهن.

3. ابن وزير من بلاد "زرياد" نفسها. رغم أنه مازال شابا فقد تباهي بعظيم العلم والحكمة، ومع ذلك - ياله من سوء حظ عاثر - فقد ولد أحدب.
4. أمير بابلي. كان مخزونه من ذهب، فضة، لآلئ، ومجوهرات، ربما يجعله الأغنى في العالم. الشيء الوحيد ضده، هو أنه كان يستمتع بالتعذيب، وكثيرا ما كان يقطع أذن خادمة، أو أجزاء من أعضاء أخرى، ثم يأكلها مع بصل إلي جانبها.
5. أمير صيني. يقال أنه لم يكن يقلّ وسامة عن أمير فارسي. لكنه صادف أمورا غير شخصية رهيبة، لدرجة أنه - إذا ما أراد أن يتمخط - كان لديه وزير للقيام بهذا.
6. ابن وزير من "ليديا". لم يكن به عيب محدد. لكن كان لديه ٢٥ زوجة سابقة وأطفال، ويقال أن أحدهم كان وحشا تنتهي ساقاه بقدمي دجاجة.
7. ابن وزير "ميديا". يمتدح الناس قوته وشجاعته. لكنهم تحدثوا أيضا عن ديونه التي كانت عظيمة جدا لدرجة أنك لا تستطيع أن تراهن ضده، لأنه كان مستعدا لأن يبيع أباه نفسه إذا تطلب الأمر ذلك.
8. ابن وزير "جوديا". يقال أنه كان متفقا بشكل جيد في الشعر والموسيقي. وكان، مع ذلك، يفضل صحبة الرجال، ويستبعد الزواج.
9. أمير مصري. كان عادلا، متعلما، ذا اطلاقة قوس لا تخيب. تزوج هذا الأمير، واذا قمت برحلة طويلة معه في الصحراء، ستكون لطيفة، خاصة مع دعوة كلتا الأسرتين ...

تحديث: نأسف أن نقرر أن مصادرنا تقول أن تمساحا قد أكله حيا بينما كان يستحم في نهر.

10. الساحر الملك زين بن زين. مجهول المكان.

بطبيعة الحال، لم تنته قائمة المرشحين عند هذه القلّة القليلة. فقد أورد قسم «بلاد العرب» من المكتبة الشرقية ٢٨٠ اسما بالضبط، تحت حرف « ز « من المجلد رقم ١٣٨. ومع ذلك، يبدو أنه لم يكن هناك أي مرشح يتفق تماما مع

ما تمنته «زرياد». لقد أمضت «زرياد» كلّ يوم مع جواريها، وسط أشجار الرمان المزهرة وأزهار زعفران القصر الإمبراطوري. مع ذلك يقهرنا الحب جميعا في النهاية، ولم تفلت الأميرة العربية الجميلة من براثنه، وذات ليلة ساطعة القمر، انزلقت «زرياد» وحبيبها بهدوء من القصر، ووصف الشاعر العربي الرومانسي «دجار» («العظيم») ما حدث هكذا:

آه، يا زرياد! آه، يا وردة الصحراء!

أنت قصبة حبيبك،

أنت أسنان حبيبك،

كم هو مبارك حبيبك!

آه، يا زرياد! آه، يا وردة الصحراء!

قد يبدو تعبير «*قصبة حبيبك*» و«*أسنان حبيبك*» وصفين غريبين قليلا. لكن ذلك لأنك تضع فرضيات حول نوع الرجل الذي كان حبيبا لزرياد والذي توضح القصة أنه كان عبدا، أسود، قبيحا، في السادسة والسبعين من عمره.

«نحن هنا نتمتع بأول تساقط ثلج حقيقي للموسم، يوم أحد»

ذات عصر يوم شتائي ممطر، وجدت نفسي في قطار خط «شاو»، محدقا عبر النافذة إلي سلسلة جبلية. كانت الجبال بيضاء ناصعة، بطبيعة الحال. لكن المشهد كان - بدلا مما يمكن أن تدعوه ثلجا أبيض - أكثر شبها بلون بشرة الجبل. وبينما كنت أنظر إلي الجبال ومضت بذاكرتي حادثة معينة...

حدث قبل أربع أو خمس سنوات، ذات عصر يوم شتائي ممطر آخر أن كنت في مرسم صديق معين، أتجاذب معه أطراف الحديث ومع موديله أمام مدفأة حديدية. كانت حوائط المرسم عارية تماما، باستثناء بعض لوحات صديقي الزيتية الخاصة. بدا أن الموديل، ذات الشعر القصير التي تدخن سيجارة، تتمتع بنوع معين من جمال غريب، مثل شخص نسب أبويه مختلط إلي حد ما. وكانت قد نزعت كلّ رمش من رموش عينيها لأسباب غير معروفة على أية حال.

انتهت المحادثة، أخيرا، إلي الطقس البارد الذي حلّ بضراوة. أخبرنا صديقي كيف أن تربة الحديقة تحنى بالفصول. وأخبرنا، قبل كلّ شيء، كيف أن تربة الحديقة تحس بالشتاء.

وأنهي حديثة قائلا:

- **وهكذا، كما ترون..**

تم استطرد:

- **ربما نقول ان التربة، هي أيضا، كائن حي.**

عبأ غليونه بالتبغ، مراوحا النظر للوراء والأمام، بين وجه الموديل ذات الشعر القصير وبيني. ارتشفت قهوتي، ولم أحر جوابا. ومع ذلك، بدا أنه كوّن عنها انطباعا من نوع ما. نفثت الموديل حلقة دخان، ورفعت جفنيها الحمراوين، كي تحدق عبرهما باهتمام شديد. تكلمت، بعد أن تبدد الدخان، وهي مازال تحدق إلى الهواء، دون أن توجه كلماتها إلى أي منا:

- **للجلد نفس الأسلوب. منذ أن دخلت هذا العمل، أصبحت لي مشكلة مع جلدي أيضا.**

ذات عصر يوم شتائي ممطر، وجدت نفسي في قطار خط «شاو»، محدقا عبر النافذة إلي سلسلة جبلية. كانت

الجبال بيضاء ناصعة، بطبيعة الحال. لكن المشهد كان - بدلا مما يمكن أن تدعوه ثلجا أبيض - أكثر شبها بلون جلد جاف مهمل. وبينما كنت أنظر إلي الجبال، ومضت ذكري تلك الموديل بذاكرتي. تلك الفتاة، ذات المظهر الياباني الغريب التي لم يكن بجفنيها رمش واحد.

عربة نقل صغيرة

كان في الثامنة من عمره، عندما بدأت إنشاءات خط سكك حديدية بين "اودارا" و"أتامي". كان يذهب كلّ يوم إلي أطراف قريته لمراقبة الإنشاءات. لم يكن يجذبه ما يمكن أن يراه من إنشاءات فعلية، بل كان ما أثار اهتمامه بقدر كاف لاستمرار مجيئه مجزد عربة نقل صغيرة على الخط الحديدي تنقل تراب الحفر.

جاءت العربة منحدرة من الجبل وقد ركب عليها عاملان، واقفين وراء كومة أتربة، لذلك لم تلزمها أية مساعدة لاستمرار حركتها. إنها تأتي كما لو كانت مدفوعة للهبوط، مع حواشي ومعطفي العاملين تخفق في النسيم، بينما ترتجف قضبان الخط الحديدي العرضية الضيقة، فيتخيل "ريوهي" كم يحب أن يكون عامل إنشاء. كم تمني على أقلّ تقدير فرصة ركوب تلك العربة معهما. تهبط العربة بفعل الجاذبية، تتوقف عندما تصل إلى أرض مستوية خارج القرية. حالما يحدث ذلك، يقفز العاملان منها، وينشران الأتربة التي كوماها في نهاية المساء. بعد ذلك يبدآن بتحريك العربة، دافعين إياها ثانية باتجاه الجبل الذي هبطا منه منذ قليل. يفكر "ريوهي"، عند مشاهدة ذلك، أنه إذا لم يستطع ركوب العربة، فكم يحب على الأقلّ أن يساعد في دفعها.

ذات مساء من أوائل فبراير، ذهب "ريوهي" وأخوه البالغ من العمر ست سنوات، وجار من نفس العمر، إلى حيث تتوقف العربات خارج القرية. جلسوا هناك في مكان مظلم مكسو بالطين. ولم يظهر عمال الإنشاء في أي مكان على مرمي البصر. حاول الأطفال بشكل عصبي دفع العربة عند نهاية الخط. بدأت عجلات العربة تدور فجأة تحت تأثير جهدهم المشترك. أخاف الصوت "ريوهي" في البداية، لكنه لم يجفل حين زعقت العجلات مزة أخرى. تحركت العربة ببطء على طول القضبان، راحت عجلاتها تدور بإيقاع تحت تأثير دفعهم المشترك.

بعد أن تحزكت خمسين قدما أو ما قارب ذلك، بدأ انحدار الطريق الممهد يشتد. لم تتحرك العربة أبعد من ذلك رغم كلّ محاولات دفعها، بل إنها جذبتهم تقريبا إلى أسفل معها. عندئذ قرر "ريوهي" أنهم مستعدون، وأعطي إشارة إلى الولدين الآخرين، قائلا:

- **حسنا، دعونا نذهب!**

تركوا العربة تنحدر بشكل تلقائي وقفزوا فوقها معا.

بدأت العربة تتحزك فورا على طول السكة، ببطء في

البداية، ثم سرعان ما تزايدت سرعتها أثناء انحدارها وهي تهبط التل باندفاع. بدأ المشهد يبزغ أمامهم فورا، منقسما إلى جزءين على كلا الجانبين، وهم يمضون عبره. صفعت ريح الفسق وجه "ريوهي"، وجعله ارتعاش الشاحنة تحت قدميه يشعر بنوع من نشوة طروب.

لكن العربة خلال دقيقتين فقط، رجعت إلى حيث بدأت.

- **دعونا نفعل ذلك ثانية!**

بدأ "ريوهي" والولدان الأصغر في دفع العربة مزة أخرى، لكن قبل أن يجعلوا العجلات تتحرك، سمعوا خطوات شخص ما وراءهم. وما أن تعزفوا على الصوت، حتى أصبح جهوريا، يصيح:

- **هيه، أنتم! من أذن لكم أن تمسوها؟**

وقف هناك عامل إنشاءات طويل، مرتديا معطف عمل قديم يحمل علامة الشركة، وقبعة قش لا توافق الموسم. (جري "ريوهي" والولدان الأصغر فعلا خمسين قدما، قبل أن يدركوا هذه التفاصيل). ومنذ تلك الحادثة، لم يفكر "ريوهي" أبدا في القيام مزة أخرى بجولة في احدى العربات، حتى عند المرور بموقع إنشاء فارغ خلال عودته إلي البيت من مهمة ما. لقد ظلت حية في مكان ما من ذهنه صورة العامل الواقف هناك في الضوء الخافت، بالقبعة القش الصغيرة الصفراء المنحرفة على رأسه، مع أن تلك الذكري قد بدأت تبهت قليلا مع كل يوم يمر.

بعد عشرة أيام أو نحو ذلك، رجع "ريوهي" مزة أخرى الى موقع الإنشاء، وراح يراقب وصول العربات. بالإضافة إلى العربة التي أفرغت أتربة، صعدت أخرى محفلة بروابط متقاطعة للمسارات الغليظة، التي ستصبح الخط الرئيسي. كان كلا الرجلين، اللذين يدفعانها شابين، وقد شعر "ريوهي" منذ اللحظة، التي رآهما فيها، بتقارب معهما. صعد إلى قرب العربة، مفكرا بأنهما على الأرجح لن يوبخانه. تساءل:

- **هل أستطيع مساعدتكما في الدفع؟**

أعطى أحد الرجلين، ذلك الذي ارتدي قميصا مخططا، تعبيرا مشجعا هو ما تمناه "ريوهي"، بينما كان وجهه لأسفل وهو يدفع العربة:

- **بالتأكيد، فلتمنحها دفعة.**

وقف "ريوهي" وسطهما. وبدأ يدفع بكل قوة.

- **أنت شخص قوي، أليس كذلك؟**

قرظه الرجل الآخر، ذو السيجارة الملفوفة يدويا وراء أذنه.

بدا تمهيد الأرض في النهاية بالاستواء. كان "ريوهي" قلقا في دخيلة نفسه خشية أن يخبره الرجلان في أية لحظة بأنهما لم يعودا بحاجة إليه أكثر من ذلك. لكن العاملين الشابين انهمكا في عملهما بدرجة أكبر من السابق، مواصلين دفع الشاحنة بشكل صامت. أخيرا، تساءل "ريوهي" متخوفا، وهو غير قادر علي أن يتمالك نفسه:

- **هل بإمكاني أن أدفع بقدر ما أهوى؟**
- **بالتأكيد يمكنك.**

أجاب الرجلان بصوت جوقة، ففكر "ريوهي" **"يا لهما من شخصين لطيفين"**

بعد خمسمائة أو ستمائة متر أخرى، أصبح الخط متحدرا. كان على كلا الجانبين بساتين يوسفي ممتلئة بفاكهة صفراء تتوالى في الشمس المشرقة.

فكر "ريوهي"، وهو يرمي بكل ثقله في المجهود **"كم أحب منطقة أعلى التل، لأنني أعرف أنهما سيدعاني أستمر بالدفع فيها"**

أثناء الصعود لأعلى بين بساتين اليوسفي، اتخذ المسار شكلا منحدرا يدور نحو السفح. صاح الرجل ذو القميص المخطط في "ريوهي":

- **اقفز إليها!**

قفز "ريوهي" فورا. بدأت العربة تنزلق لأسفل عبر المسارات، بمجرد أن تسلقها الثلاثة، مثيرة عطر اليوسفي. عبرت ذهن "ريوهي" فكرة واضحة هي أن الركوب أفضل من الدفع، بينما ملأت الريح معطفه. ثم

صحح لنفسه "لكنني كلما دفعت أكثر على الطريق هناك أحصل على ركوب أفضل في طريق العودة".

وصلت العربة في صمت إلى نقطة توقف في منتصف أجمة خيزران. بدأ الثلاثة يدفعون العربة بشدة كما في السابق. أصبحت الأجمة تدريجيا غابة، وفي بعض الأماكن، التي ارتفع فيها الممر، تكومت عاليا أوراق ساقطة بما يكفي لإخفاء المسارات الحمراء الصدئة. كشف الصعود فوق التلّ عن منحدر عال. فتح مشهدا وراءه على البحر البارد. وحينئذ تيقن "ريوهي" فجأة من أنه ابتعد كثيرا جدا.

ركب ثلاثتهم الشاحنة مزة أخرى. اندفعت تحت أغصان الغابة، وكان المحيط عن يمينهم. لم يكن "ريوهي" بقادر على التمتع بالجولة كما في السابق. استمر يتابع، متمنيا أن يرجع الرجلان سريعا إلى البيت، مع أنه فهم - رغم ذلك - ألهما لا يستطيعان أن يفعلا هذا قبل أن يصلا إلى غايتهما.

توقفت العربة فيما بعد أمام محلّ عام مقام على شقّ خشن من حافة الجبل لتناول الشاي. ذهب العاملان إلى داخله، تناولا شايا وهما يثرثران مع المالكة التي كان لديها رضيع مربوط إلى ظهرها. كان "ريوهي" متضايقا، فتجول حول العربة. جف الطين المرشوش على الألواح الخشبية التي صنعت هيكلها.

بعد برهة خرج الرجل ذو السيجارة خلف أذنه (رغم أنها لم تعد هناك)، وأعطى بعض حلويات ملفوفة في ورقة جريدة إلى "ريوهي" الذي كان مازال واقفا قرب العربة. قال "ريوهي" دون شعور:

- شكرا

وسرعان ما أسف "ريوهي" لقسوته، شاعرا أنه تصرف بغلظة إزاء الرجل. وكما لو كان يعوض عن ذلك تناول أحدى الحلويات من مغلفها، وقذفها إلى فمه. فاحت رائحة نفط من ورقة الصحيفة.

دفع الثلاثة العربة إلى أعلى منحدر معتدل. أبقى "ريوهي" يديه على العربة، بينما كان ذهنه في مكان

آخر.

أوصلهم التسلق على التل وفوقه إلى محل مماثل لتقديم الشاي. مضى العاملان إلى داخله، بينما مكث "ريوهي" جالسا على العربة، دون أن يفكر في شيء عدا العودة إلى البيت. بدا ضوء الشمس القادم من الغرب باهتا علي شجرة أجاص مزهرة انتصبت أمام محل الشاي. لم يعد "ريوهي" يستطيع الجلوس بكسل، وهو يدرك أن الشمس على وشك المغيب. حاول أن يشغل نفسه بضرب عجلات العربة ودفعها بقوة، رغم معرفته أنه لا يستطيع أن يحزكها بمفرده.

حين خرج العاملان من محل الشاي، وضعا يديهما على حمولة دعامات الخط الحديدي، وقالا بلامبالاة:

- **حان الآن وقت عودتك إلى البيت. سنتوقف حيثما نفرغ هذه الحمولة.**
- **إذا تأخرت بالخارج كثيرا، سيقلق أهلك عليك.**

ذهل "ريوهي" لوهلة. صدمه في نفس الوقت إدراك أن كل شيء كان على وشك أن يظلم، وأن المسافة إلى البيت نحو ثلاث أو أربع مرات أكثر مما مشي مع أمه إلي "أبوموراً" في العام الماضي، وأنه ينبغي عليه أن يمشي كل ذلك الطريق وحده. أوشك "ريوهي" علي البكاء، لكنه عرف أن البكاء لن يساعده، لأنه ليس هناك وقت له. انحني انحناءة لامبالية للشابين، ورجع يدب على طول المسارات.

ركض "ريوهي" غافلا على طول المسارات فترة من الوقت. لاحظ أن مغلف الحلويات، الذي التصق بعباءته، يعترض طريقه، فتخاه جانبا، وسرعان ما تبعه صندله الخشبي. جعل ذلك صخورا صغيرة تلسع قدميه عبر جوربه القماشي الرقيق، لكن قدميه شعرتا بخفة أكثر. صعد تلا منحدرا، شاعرا بالمحيط على يساره. واجه انحرافا عندما صعدت دمعتان عرضيتان إلى عينيه. ورغم أنه كان قادرا على إيقافهما فان أنفه كانت تحدث صوتا نتيجة التنفس بجهد.

عندما اقترب من جوار أجمة الخيزران، كان الوهج

المنبعث من سماء الغروب فوق جبل "هينجان" قد بهت فعلا. تصاعد اضطراب "ريوهي". أثار انزعاجه ان تغيير الاتجاه جعل المنظر يبدو مختلفا عما سبق. نضح ثوب الكيمونو بالعرق الذي ضايقه الآن، ولذلك رمى معطفه على امتداد الطريق، وانطلق يعدو إلى أسفل.

أصبح الجو أكثر إظلاما عندما وصل إلى حقل اليوسفي. فكر، وهو ينزلق ويتعثر أثناء ركوضه "رجاء، دعني أعش"

كان الغسق قد حل، عندما رأي "ريوهي" أخيرا موقع الإنشاء خارج القرية. رأى بوضوح، تحت تلك الأضواء، بخارا يرتفع من عرقه بعيدا عن رأسه. رأته النسوة اللاتي كن يسحبن ماء من بئر والرجال العائدون من الحقول، يلهث، ونادوه كي يسألوا عما حدث. لكنه تجاهلهم، ماضيا عبر الأضواء اللامعة المنبعثة من المخزن ومن محل الحلاق.

لم يكن قادرا على أن يكبح عويله وهو يندفع إلى مدخل بيته. جذب بكاؤه والديه فورا، واحتضنته أمه بشكل خاص، قائلة شيئا ما مع ذلك، واصل "ريوهي" الشخير والبكاء متلؤيا. كان صوته شديد الارتفاع لدرجة أن بعض الجيران تجمعوا في المدخل المظلم. سأله والداه وهؤلاء الذين جاءوا مرارا وتكرارا عما حدث، لكن مهما قالوا، كان كل ما يستطيعه هو أن يستمر في البكاء. عندما نظر إلي الوراء، إلى سباق الجري الطويل ذلك الذي جراه، والوحدة التي شعر بها خلاله، أحس بأنه حتى مع ارتفاع صوته، لن يكون قادرا أبدا على البكاء بما فيه الكفاية.

عندما بلغ "ريوهي" السادسة والعشرين من عمره، انتقل مع زوجته وطفله إلى طوكيو، حيث عمل هناك بالطابق الثاني من مبني محررا في مجلة. أحيانا، عندما يصبح متعبا من الأعمال اليومية الرتيبة، تماما كما كان عندئذ، ودون أي استفزاز على الإطلاق، أو ربما أستثاره شيء؟ يتذكر فجأة ذلك اليوم، فاذا هو يستعيده ثانية: ممرا طويلا رفيعا بين أجمات مظلمة فوق تلال تنفتح

إلى الخارج.

لم يوجد نبات التبغ في اليابان من قبل. لا تتفق السجلات المكتوبة، لسوء الحظ، علي تاريخ دخوله إلي اليابان: يقول البعض أنه تم خلال عصر «كيشو»[5]، ويقول آخرون في عصر «تمون»[6]. لكن يوجد، مع ذلك بعض الشك لأنه بحلول السنة العاشرة من عصر كيشو، كان التبغ معروفا في مختلف الأماكن، كما أنه في عصر «بينروكي»[7]، أصبح مشهورا عالميا.

علاوة على ذلك، يبدو أن المؤرخين ليسوا متأكدين على الإطلاق من هوية الشخص الذي جلبه إلينا. طبقا للبعض، كان برتغاليا، وطبقا لآخرين كان أسبانيا. لكن هناك أيضا أسطورة تحكي كيف أن الشيطان بنفسه، دون شك، هو من أعطانا التبغ. يحكى في تلك الأسطورة، إن الشيطان قد أستحضر إلى اليابان بواسطة كاهن يسوعي. لم يكن ذلك الكاهن شخصا آخر بخلاف القديس «ترافيز كسافير»[8].

عندما أقول ذلك، أتيقن أنني قد أزعج أولئك الأشخاص ذوي الإيمان المسيحي. ومع ذلك فانني أعترف، بأن ما تحكيه الأسطورة يبدو لي حقيقيا. أليس طبيعيا، رغم كل شيء، أن يأتي مع اله الغرب، شيطان الغرب أيضا؟ وأن تأتي مع أشياء الغرب الطيبة، الأشياء السيئة أيضا؟

لا يمكن أن أبرهن على أي من قناعتي أو قناعاتكم، بأن الشيطان هو الذي جلب التبغ معه فعلا. لكن قد يكون مهما أن تعرف أن «أناتول فرانس»[9]، سرد في واحد من كتبه أن الشيطان حاول أن يغوي كاهنا بغصين من نبات «الميجتونت»[10]. في مواجهة مثل هذا الدليل، من يستطيع أن يعرف على وجه اليقين أن نفس من يقولون أن الشيطان قد جلب التبغ إلى اليابان، كاذبين؟ حتى لو كانت القضة كذبة حقا، فربما تحتوي على حقيقة أعظم مما شككنا فيه أولا.

طالما أن هذه أفكاري، سأبدأ إذن في أن أحكي لكم أسطورة الشيطان والتبغ.

* *

حدث في العام الثامن عشر من عصر «تمون»، أن تخفي الشيطان كواحد من الأخوة في شركة «القديس فرانسيس» التي وصلت إلى اليابان بعد رحلة طويلة عبر البحر. تخفى الشيطان بشكل معقول، نظرا لحقيقة أنه في ميناء ما - ربما كان ميناء «ماكاو» – مكث أحد الأخوة على الشاطئ لفترة طويلة جدا، ثم أبحرت السفينة بعيدا بدونه. لم يلاحظ غيابه أحد، وكان الشيطان، المعلق من ذيله من أعلى لأسفل بطرف عارضة

الشراع، يراقب الجميع متحينا الفرصة كي يظهر، ففير هيئته بسرعة إلى هيئة الأخ المفقود، وأصبح مبعوث القديس فرانسيس شخصيا. كان هذا سهلا تماما لكائن ضليع جدا في التخفي كالشيطان الذي حوّل نفسه إلى شخص مهذب مدهش، مرتديا معطفا أحمر، أثناء زيارته للدكتور «فاوست»[11].

كانت الدهشة بانتظاره حين خطا أول خطوة في اليابان. كانت كتابات «ماركو بولو»[12]، قد قادته إلى أن يصدّق أن كلّ شوارع اليابان معبدة بالذهب، لكنه حتى بعد بحث دقيق، لم يجد شارعا واحدا كذلك. كان، مع ذلك، مسرورا أو بالأحرى غير حزين، لأن بوسعه الآن أن يأمل بإغراء اليابانيين بالذهب، الذي يمكن أن ينتجه بسهولة بحك ظفر إبهام باتجاه المسيح. بدا أيضا أن «ماركو بولو»، قد حكى كذبة أخرى، حين قال أن اليابانيين عرفوا طريقة لاستعادة الحياة بعد الموت بواسطة استخدام سحري للآلن أو جواهر أخرى. رأى الشيطان أنهم كانوا مثل كلّ الفانين الآخرين، وكان مسرورا، ففكّر أنه قد يكون سهلا: أن ينتشر وباء بالبصق في آبارهم، وإذا ما عانوا بشكل سيء كاف، فانهم سينسون كهنتهم بالتأكيد.

كانت تلك، إذن، أفكار سعيدة تراوده وهو يمضي وراء القديس فرانسيس عبر شوارع اليابان. كانت هناك، مع ذلك، صعوبة واحدة فقط حتى الشيطان نفسه لم يمكنه أن يفعل شيئا إزاءها، ففي تلك الفترة القصيرة منذ وصول الشركة إلى اليابان، لم يتوفر الوقت بعد للقديس فرانسيس لنشر تعاليم المسيح، أو لعقد أي اجتماعات. وبدون اجتماعات، لن يتوفر للشيطان أي فرد لإغرائه. وسرعان ما وجد نفسه قد أصبح ملولا وبدأ يتساءل عفا يمكن عمله قتلا للوقت.

بعد أن فكّر كثيرا في مشكلة سأمه المتزايد، قرر أخيرا أن يمضي الساعات في أعمال البستنة. لحسن الحظ، كان قد أحضر معه بذورا مختلفة، مخفية بعناية في أذنيه. أمكنه بيسر أن يستأجر حقلا مجاورا لذلك الغرض، إضافة إلى ذلك فقد وافق القديس فرانسيس بإخلاص على خطة مبعوثه. اذ كان القديس تحت تأثير انطباع أن تابعه أحضر البذور بنية شريفة، مثل تنمية أعشاب طبية.

بعد أن استعار الشيطان المعدات الضرورية، بدأ بطاقة عظيمة زراعة حقل إلى جانب الطريق.

كان الوقت أول الربيع، حين بدا الهواء مشبعا بالندى، وبينما كان الشيطان يعمل، أمكنه أن يسمع صوت دوي ناعس لجرس معبد بعيد

محمولا برقة عبر الضباب الطافي. كان الصوت لا يشبه أجراس الكنيسة الغربية، التي بدت له حادة بشكل غير مريح. لكن حتى في مثل هذا الجو المريح، لم يشعر بالسلام.

في كلّ مرة سمع فيها صوت الجرس البعيد، كان الشيطان يكشر، كما لو أن ذلك سبب له إزعاجا أعظم من أجراس القديس بول، فينهمك في العمل أكثر عما قبل. يرجع ذلك، إلي أنه وجد أن صوت الجرس اللطيف، ودفء الشمس المشرقة، يحوّلانه تماما إلى حالة من اللامبالاة السارة. لم يكن يمانع أن يكون شديد الكسل في فعل الخير، لكنه لاحظ أنه إذا لم يكن حريصا، فقد يفقد كلّ رغبة في فعل الشر، وهكذا تفشل مهمته في أن يقود اليابانيين إلى الإغراء. وهكذا، فإن الشيطان، الذي كان يكره العمل اليدوي، عمل بمجرفتين في يديه القاسيتين، حتى يدفع عن نفسه الرغبة في النوم.

أخيرا، بعد عدة أيام في الحقل، أصبح الشيطان قادرا علي أن يسحب البذور من أذنيه، وأن يزرعها.

**

انقضت عدة شهور، ونبتت البذور، ونمت السيقان، ومع نهاية الصيف، غطت أوراق خضراء قاتمة كبيرة كلّ الحقل. لكن، لم يكن هناك من يستطيع أن يعرف اسم ذلك النبات. حتى حين سأله القديس فرانسيس عفا هو ذلك النبات الذي زرعه في الحقل، لم يحر الشيطان جوابا. بل ابتسم فقط، بطريقة من يعرف ويخاتل بشكل ما.

ثم بدأت تظهر أزهار زرقاء شاحبة، متشكّلة مثل أنبوب، بدا سعيدا بها ربما لكونها كانت نتيجة جهده الخاص، فكان يذهب إلى الحقل كلّ يوم بعد أن ينتهي من عمله، ويعتني بزهوره.

ذات يوم، أثناء غياب القديس فرانسيس – الذي ارتحل في مهمة لعدة أيام – تصادف أن مرّ بالحقل تاجر ماشية ساحبا بقرة. ورأى عبر السياج، أجنبيا مرتديا ملابس سوداء ذات طراز ديني واقفا بين زهوره، مشغولا بالتقاط حشرات من على الأوراق. كان تاجر الماشية مأخوذا بالزهور التي لم يسبق له أن رأى مثيلا لها من قبل، لذلك توقف، وخلع قبعته، وقدّم نفسه بكياسة للأجنبي:

- **أرجو معذرتك، سيدي الكاهن، لكن ما هو اسم الزهرة؟**

استدار الأخ. بدا للتاجر شخصا أجنبيا، لطيف الهيئة، ذا أنف صغير، وعينين صغيرتين.

- **آه، أتعني هذه؟**
- **نعم، يا سيدي.**

انحنى الأخ فوق السياج، وهز رأسه. ثم قال:

- **آنا آسف، لكنني لا أستطيع إخبار أيّ فرد باسم هذه الزهرة.**
- **إنّي أرى. ربّما يكون المعلم فرانسيس هو من منعك؟**
- **لا، ليس الأمر كذلك.**
- **حسنا، في هذه الحالة، ألن تكون طيّبا بما فيه الكفاية كي تخبرني؟ وكما ترى، فإنني أتسلم تعليمات من المعلم فرانسيس، وأنا الآن أثق بك.**

أشار التاجر بفخر إلي صدره، وهو يقول ذلك. كان هناك صليب نحاسي يتدلي من رقبته، يومض لامعا في الشمس. عبس الأخ قليلا – ربما كان ذلك من الوهج – خفض عينيه لوهلة، ثم بدأ يتكلم بألفة قليلا أكثر وبلهجة نصف جادة ونصف عابثة:

- **أخشي ألا أفعل، لأنّ اخبار أيّ فرد أمر ضدّ قانون بلادي. لكن لماذا لا تحاول، وتقوم بالتخمين؟ أنتم أيها اليابانيون قوم شديدو الذكاء، وأنا متأكّد من أن تخمينك سيكون صحيحا. وإذا حدث ذلك، سأعطيك كلّ محصول هذا الحقل.**

فكّر التاجر، بأنّ هذا يشبه كما لو كان الأخ يستدرجه. مالت رأسه إلى جانب مع تصاعد تركيز الهواء. وظهرت ابتسامة علي وجهه الذي لوحته الشمس. ثم قال:

- **إنني أتساءل عمّا يعني ذلك؟ أنت لا تعتقد أنني سأعطيك الإجابة حالا.**
- **أوه، لا. ليست هناك عجلة. سأمنحك ثلاثة أيام للتفكير في إجابة. لا أمانع لو ذهبت الآن واستشرت شخصا آخر. وإذا كان تخمينك صحيحا، سأعطيك كلّ هذا، بالإضافة إلى بعض النبيذ الأجنبي أيضا، أو إذا شئت، صورة دينية لطيفة.**

بدا تاجر الماشية مندهشا قليلا من جديّة الأخ.

- **لكن ماذا ان كان تخميني خاطئا؟**

ضحك الأخ. وكانت ضحكته حادة، شبيهة بنعيق

غراب، لدرجة أنها صدمت تاجر الماشية فورا.

- **إذا كان تخمينك خاطئا، يمكنك أن تعطيني شيئا. لماذا لا نجعله رهانا؟ لا تنس أنك إذا كنت على صواب، ستنال كلّ شيء في هذا الحقل.**
- **حسنا، أنا موافق. سأعطيك أيّ شيء تطلبه.**
- **أيّ شيء؟ حتى تلك البقرة؟**
- **آه، نعم. إذا أردتها، سأعطيها لك الآن.**

ضرب تاجر الماشية البقرة علي رأسها، ضاحكا. وبدا كأنه يفكر باصرار في أن كلّ ذلك مجرّد نكتة بسبب طبيعة الأخ الطيبة.

- **لكن لو كسبت ستعطينني كل هذه النباتات؟**
- **حسنا، أنه عهد إذا؟**
- **بالتأكيد، هو عهد. وأقسم باسم معلمنا المسيح المقدس.**

بدا الأخ حين سمع ذلك، شديد السرور. كانت عيناه تتألقان، بينما هو ينخر كخنزير بارتياح، ثم أراح يده اليسري على وركه، وبدأ يربت على زهرة قريبة بيده الأخرى.

- **إذا خمنت خطأ، سأقبض جسمك وروحك.**

بينما كان يقول ذلك، نهض، خالعا قبعته ذات الحواف العريضة، بمسحة ملكية، فإذا بقرنين مثل قرني ماعز جبلي ينموان بين شعره الكثيف. شحب لون تاجر الماشية، وأسقط قبعته على الأرض. فقدت الأزهار وأوراق الشجر في الحقل بريقها، ربما لأنّ الشمس بدأت تغيب في نفس الوقت، حتى البقرة، نكّست رأسها، كما لو أنها خائفة من شيء ما، وبدأت تخور.

- **العهد عهد، حتى لو انعقد معي. ولا تنس أنك أقسمت باسم شخص لا أستطيع أنا نفسي أن أذكره. سنلتقي ثانية عندما تمرّ ثلاثة أيام. حسنا، لتصحبك السلامة، يا سيدي العزيز.**

انحنى، وهو يقول ذلك بدهاء شديد.

كان تاجر الماشية آسفا تماما بطبيعة الحال، لأنه رمى بنفسه دون قصد بين يدي الشيطان، ولاح له الآن أنّ

الشيطان سيتملكه تقريبا، وأنه سيحرق جسدا وروحا في نار جحيم أبدي، كما شعر أن تحوله الحالي إلى النصرانية ونبذ إيمانه القديم، جعله أفضل قليلا.

لكن نظرا لكونه أقسم بالاسم المقدس للمسيح، فانه لا يستطيع أن يفسخ عهده. هل سيكون القديس فرانسيس هناك، حتى يساعده على الخروج من هذا المأزق؟ كلا. لسوء الحظ كان القديس بعيدا.

أمضي التاجر ليلتين يائسا دون نوم، محاولا أن يفكر في طريقة لاكتشاف اسم النبات الملعون، لكن حتى لو لم يعرف العظيم "فرانسيس كسافير"، فمن الذي يمكنه أن يعرف، ماعدا...؟

حلت، في النهاية، الليلة الأخيرة من الأيام الثلاثة الموعودة، وقاد تاجر الماشية نفس البقرة، ببطء وصمت، متخذا طريقه باتجاه منزل الأخ، الذي كان مثل الحقل على نفس الجانب من الطريق. كان من الواضح أن الأخ قد ذهب إلى الفراش، لأنه لم يظهر أي ضوء من النوافذ. ورغم أن القمر كان هناك، فان الليلة لم تكن صافية، وكانت الأزهار، تتمايل برفق، فوق الحقل الصامت، كأشباح وسط ظلمة جزئية. كان تاجر الماشية، قد جاء بخطة، لكنه بدأ يشعر بالخوف، بينما كان الليل مازال قائما، وتمنى لو أنه كان في البيت. لم يكن من المريح أن يفكر في السيد ذي القرنين، الكائن وراء الجدران متمتعا، دون شك، بأحلام سارة من الجحيم. لكنه لم يكن يستطيع أن يكون جبانا. كان جسمه وروحه على المحك.

وهكذا، صلى تاجر الماشية للعذراء مريم ناشدا حمايتها، وقرر أن يبدأ العمل. حرر بقرته، وضربها ضربة قوية على كفلها دفعتها باتجاه الحقل.

سحقت البقرة السياج، وهي تقفز متألمة، وبدأت تهرول بوحشية داخل الحقل، وارتطمت أكثر من مرة بجدران البيت، وانفجر صوت الأقدام الداهسة والأنات العالية وسط ضباب الليل الكثيف. ثم فتحت نافذة، وظهر وجه لم يستطع تاجر الماشية أن يتبينه بدقة في الظلام، لكنه كان متأكدا من أنه كان الشيطان. ربما كان

ذلك خياله، لكنه أعتقد أنه رأى مخططا واضحا لقرنين.

- **عليك اللعنة، أيها الوحش، انك تدمر حقل تبغي!**

صاح الشيطان، الذي كان مازال منخرطا في نومه، ملوحا بذراعيه غاضبا. لقد بدا شديد الضيق، حقا، بسبب نومه الذي قوطع.

عندما سمع التاجر تلك الكلمات من الشيطان في نومه راحت ترن خلال الليل كما لو أنها صادرة من الإله.

- **عليك اللعنة، أيها الوحش، انك تدمر حقل تبغي!**

انتهت قصتنا. ولمثل هذا النوع من الحكايات نهاية سعيدة. سعد تاجر الماشية كثيرا لفزع الشيطان، عندما اكتشف أنه عرف اسم النبات، وكسب الرهان. كما أصبح تبغ الحقل كله ملكا له.

لكنني أتساءل أحيانا، ألا يرى شخص ما المعني الخفي في أسطورتنا القديمة هذه؟

لقد فشل الشيطان فعلا في الفوز بامتلاك روح وجسد تاجر الماشية، لكن ألم يترك التبغ وراءه كي يدخنه كل فرد في اليابان؟ أليس هناك، ربما، عنصر فشل في نجاح تاجر الماشية، وعنصر نجاح في فشل الشيطان؟ يسقط الشيطان، وعندما ينهض ثانية، فأنه يفعل ذلك بتكلفة ما. وأحيانا عندما نقاوم الإغراء ربما نكون دون قصد من الخاسرين.

أما عن مصير الشيطان في هذا القطر بعد هزيمته من تاجر الماشية، سوف أحكي قليلا جدا اذ أن الشيطان عند عودة القديس "فرانسيس" كان قد طرد من الجوار، لكن اتضح أنه ظل في اليابان متجولا من مكان إلى آخر، وما زال متخفيا كأخ. وقد شوهد الشيطان، طبقا لاحدى الحكايات، مصادفة في "كيوتو" بعد تأسيس الكنيسة المسيحية. ومكث هناك فترة بعد إلغائها تحت حكم "تويوتومي" و"توجيجاوا"، لكنه اختفى أخيرا. ليس هناك مزيد مما يذكر عنه في السجلات.

ثم أعادته السفن السوداء، وثورة الميجي ثانية إلينا، لكن لم يعرف على ما يبدو أي شيء عن تحركاته في السنوات الحالية.. وهو أمر مثير للشفقة.

5 عصر الكيشو keicho، يمتد أثناء الفترة من ١٥٩٦ – ١٦١٥، خلال حكم الإمبراطور جو – يوزل - تنو

6 عصر التيمون، يمتد أثناء الفترة من ١٥٣٢ – ١٥٥٥

7 عصر بينروكي، يمتد أثناء الفترة من ١٥٩٢ – ١٥٩٦.

8 كان ترافيز كسافيز (١٥٠٦ – ١٥٥٢) أسبانيا يسوعيا، ويعتبر رائدا لبعثات التبشير الكاثوليكية في شرق آسيا، كما اشتهر بأنه واحد من أعظم المبشرين في التاريخ.

9 أناتول فرانس (١٨٤٤ – ١٩٢٤)، روائي وكاتب مقالات فرنسي، ويعتبر من الشخصيات الرئيسية في تراث التحرر الإنساني للأدب الفرنسي.

10 هو نبات الفليحاء العطرية، فواح الرائحة.

11 هو ساحر في الأسطورة الألمانية، باع روحه للشيطان من أجل السلطة والمعرفة.

12 هو بحار ومغامر ايطالي (١٢٥٤ – ١٣٢٤)، قام بكثير من الرحلات، وتعتبر كتاباته عن الرحلات من أهم الكتابات في هذا السياق على الإطلاق.

كانت تمطر في تلك الليلة على نحو متقطع. تأرجحت عربة الريكشا التي كنت أركبها إلى أعلى وأسفل منحدرات "أومري" الحادة، حتى توقفت أخيرا أمام بيت صغير غربي الطراز محاط بسياج من الخيزران. أمكنني على ضوء فانوس الريكشا، أن أرى لوحة خزفية بالاسم مكتوبا بحروف يابانية، الهندي "ماتيرام ميسرا". كان ذلك هو الشيء الوحيد الجديد في المدخل الصغير ذي الطلاء الرمادي المتقشر.

ربما سمع العديد منكم عن "ماتيرام ميسرا، المواطن من "كالكتا" الذي ناضل دائما من أجل استقلال الهند. هو أيضا ساحر شاب، درس الأسرار على يدي البرهمي[13] المشهور "حسن خان". قابلت "ميسرا" في وقت سابق منذ شهر بتقديم من صديق[14]، وناقشنا قضايا سياسية واقتصادية مختلفة، لكني لم أكن أبدا موجودا عندما مارس سحرا حقيقيا. لذلك أرسلت إليه رسالة، أطلب منه أن يعرض لي بعض السحر، وها أنا أسرع الآن بواسطة ريكشا، إلى أطراف "أومري" المنعزلة حيث يعيش.

وجدت الجرس، وأنا مبتل بالمطر، تحت لوحة الاسم على هدي ضوء ملتبس لفانوس الريكشا، فضغطت عليه. فتح الباب سريعا. ظهر في المدخل وجه امرأة قصيرة وعجوز تعمل عند "ميسرا".

- **هل ميسرا موجود؟**
- **تفضل بالدخول. انه ينتظرك.**

كان للعجوز أسلوب ودود. أرتني غرفة "ميسرا" التي كانت إلى جانب المدخل. حياني "ميسرا" بابتهاج، بينما كان يرفع فتيل مصباح النفط على المائدة:

- **إنني مسرور أن كل مطر هذا المساء لم يمنعك عن الحضور.**
- **لا يمكن لأية كمية من المطر أن تمنعني، إذا كان في إمكاني أن أرى سحرك.**

جلست على كرسي، ونظرت حولي في الغرفة الظليلة على ضوء مصباح النفط الخافت.

كانت غرفة "ميسرا" بسيطة، ذات طراز غربي، بها مائدة في المنتصف، ورف كتب على الحائط، ومنضدة بجوار النافذة. ما عدا ذلك، لم يكن هناك أي شيء سوى الكرسيين اللذين جلسنا عليهما. كان الكرسيان والمنضدة

باليبين تماما، وطزز مفرش المائدة، الذي كان لامعا ذات مزة، بزهور حمراء حول الحافة، تكاد تتفكك الآن في أية لحظة.

بعد تبادل التحيات، أنصتنا لحظة للمطر الساقط على سياج الخيزران بالخارج. أحضرت العجوز، أخيرا، قدر شاي أسود، وفتح "ميسرا" صندوق سيجار:

- **تفضل واحدا**

تناولت واحدا وأشعلته:

- **أشكرك. أعتقد أن الروح، التي تتبعها تدعى الجني. وأفترض أنك تستخدم قوى هذا الجني للسحر، الذي ستعرضه علي.**

أشعل "ميسرا" سيجاره، ونفث نفثة دخان عطرة:

- **لقد انقضت مئات السنين، منذ أن انشغل أي فرد بجني. من المحتمل أنك تفكر في "ألف ليلة وليلة". لكن حتى أنت يمكنك أن تتعلم إذا شئت السحر الذي تعلمته أنا من "حسن خان"، وهو في الأغلب شكل متقدم من التنويم المغناطيسي. انظر.. يمكن أن تحزك يدك فقط هكذا..**

رفع "ميسرا" يده، وحزكها علي شكل مثلث أمام وجهي عدة مرات. ثم أعاد يده إلى سطح المائدة، ملتقطا احدى الزهرات المطرزة باللون الأحمر حول حافة مفرش المائدة. زحفت بكرسي مندهشا للأمام، وحملقت بعناية إلى الزهرة. كانت دون شك احدى الزهرات التي كانت حتى لحظة مضت مخيطة في قماش المفرش. رفع "ميسرا" الزهرة إلى أنفي، فشممت رائحة مسك قوي. صحت إعجابا، مرارا وتكرارا. أسقط الزهرة عرضا على مفرش المائدة، ومازال بابتسامته الباهتة. وما أن استقرت الزهرة، حتى أصبحت مزة أخرى جزءا من التطريز لا يمكن انتزاعها أو تحريك ورقة واحدة من بتلاتها.

- **أرأيت؟ انه شيء بسيط، أليس كذلك؟ راقب المصباح الآن.**

بينما كان يتكلم، عدل مصباح النفط لأعلى على

المائدة، لكن المصباح راح يدور بسرعة في نفس اللحظة. وبينما استمر ذلك، بدأ ظل المصباح يدور حول محور المستوقد. كنت متوجسا، قلقا، خشية أن يشتعل حريق، لكن "ميسرا" جلس بهدوء يتناول الشاي، دون أي بادرة قلق. هكذا أجبرت نفسي على أن أظل جالسا بهدوء محدقا إلى المصباح وهو يدور أسرع وأسرع.

أمكنني أن أشعر بالنسيم بواسطة دوران طيف المصباح، لكن اللهب الأصفر لم يومض أبدا. كان مشهدا جميلا، مخيفا. استمر الدوران في التصاعد أسرع وأسرع، حتى لم يعد هناك أي إحساس بالحركة على الإطلاق، وكان اللهب واضحا تماما. ثم فجأة استقر المصباح على المائدة كما كان من قبل، ولم يبدو على المستوقد أي تشوه.

- **هل فوجئت؟ هذا النوع من الأعمال مجرد لعب أطفال. لكن إذا رغبت سأعرض عليك شيئا آخر.**

استدار ميسرا، وحدق إلى رف الكتب على الحائط، ومد يده، وأشار. هبطت الكتب التي تراصت واحدا بعد الاخر من رف الكتب على المائدة فاتحة صفحاتها على شكل أجنحة، ثم خفقت في الهواء مثل خفافيش في أمسية صيف. انفتحت فجوة، من المفاجأة، في فمي، ومازال السيجار به. طارت الكتب بحزبة عبر ضوء المصباح الخافت، ثم كدست نفسها، واحدا بعد الآخر، على شكل هرم. حين وصل الكتاب الأخير إلى قمة الكومة، بدأ الأول بالتحزك ثانية، واعتقدت أنها ستطير جميعا عائدة إلى أماكنها على رف الكتب.

لكن عندئذ - وهذا ما أدهشني أكثر من أي شيء آخر – اتخذ كتاب رفيع ذو غلاف ورقي، بصفحاته التي مازالت منتشرة كجناحين، طريقا صاعدا بخفة، دار حول المائدة، ثم أغلق نفسه، وسقط في حجري. مددت يدي إليه، متعجبا مما يجري، فوجدته رواية فرنسية جديدة، كنت قد أعرتها لـ"ميسرا" في الأسبوع السابق.

- **أنا ممتن جدا لاعارتي الكتاب.**

ظلت ابتسامة "ميسرا" واضحة وهو يشكرني. في تلك

الأثناء، كزت الكتب الأخرى كلّها عائدة، إلى رف الكتب. كنت مسلوب اللب لوهلة، حتى لمجرد الاحتفاء به. لكنني كنت قادرا على أن أتذكر ما قاله قبل قليل من أن السحر هو "شيء حتى أنت يمكنك تعلمه إذا شئت"

- **حقا، لقد سمعت الكثير عنك، لكنني لم أدرك أن سحرك سيكون مدهشا على هذا النحو. بطبيعة الحال، كنت تسخر عندما قلت أن ذلك لن يكون بعيدا عن متناول شخص مثلي، أليس كذلك؟**
- **يمكنك أن تقوم به. يمكن لأي شخص أن يقوم به بسهولة. ما عدا أن ...**

توقف "ميسرا"، وحدق بغبات في عيني، ثم استطرد، قائلا بلهجة جدية لم أسمعها من قبل:

- **ما عدا أن الشخص الطفاع لا يستطيع القيام بذلك. إذا أردت أن تتعلم سحر "حسن خان"، يجب عليك أن تلفظ الطمع أولا. هل تستطيع ذلك؟**
- **أعتقد ذلك.**

بطريقة ما شعرت بعدم راحة وأنا أجيب، وسرعان ما أضفت فورا:

- **إذا ما كنت ستعلمني سحرك فقط.**

مازال "ميسرا" ينظر إلي بشك، لكن ربما شعر أنه سيكون أمرا فظا إذا ما تمادى. تنهد أخيرا:

- **سأعلمك إذن. لكن رغم أنني قلت أنك يمكن أن تتعلمه بسهولة، فانه يتطلب بعض الوقت للتعلم. لذا، سيكون عليك أن تمضي الليلة هنا.**
- **أنا ممتن جدا لأنك ستتحمل ذلك العناء.**

ظللت أشكر "ميسرا" لأنه سيعلمني السحر، لكنه جلس بهدوء على كرسيه دون أن يبدو عليه أنه لاحظ ذلك. ثم نادى علي خادمته:

- **أيتها الجذة! أيتها الجذة! سيبيت ضيفنا هنا الليلة. أعدي الفراش من فضلك.**

جلست ودقات قلبي تتعالى، غافلا عن اسقاط رماد سيجاري المتزايد محذقا في وجه "ميسرا" الناعم وهو يستحم في ضوء مصباح النفط الأبيض.

مز حوالي شهر بعد أن تعلمت السحر من "ميسرا".
كانت تلك ليلة أخرى ممطرة، لكني كنت جالسا هذه المرة في غرفة بأحد النوادي في منطقة "جينزا"، أتبادل الحديث مع خمسة أو ستة أصدقاء أمام مستوقد دافئ.

رغم أننا كنا في قلب طوكيو، والمطر الساقط خارج النافذة يغمر السيارات والعربات التي كانت تمز دائما بالجوار، فقد كان للمطر نفس الصوت الفريد، مثل ذلك الذي سقط علي سياج الخيزران في "أومري".

بطبيعة الحال، كان هناك جو أليف الى جانبنا من النافذة، جليا على ضوء المصابيح الساطع، والكراسي المغربية الكبيرة ذات المساند، وباركيه الأرضية اللامع، بحيث لا يمكن مقارنته من ناحية المظهر أو المزاج مع غرفة مثل غرفة "ميسرا".

كنا نجلس في سديم دخان السيجار، نحكي قصصا عن الصيد أو سباق الخيل، حين رمى أحد أصدقائي عقب سيجاره إلى المستوقد واستدار نحوي قائلا:

- **يقولون انك الآن تمارس السحر. ماذا عن ذلك؟ هل ستعرض علينا شيئا؟**
- **حسنا.**

قلت ذلك متفضلا، بينما كنت أميل برأسي للوراء على الكرسي، بمظهر ساحر مشهور:

- **طالما أنك سألت، سأعرض عليكم شيئا غريبا جدا، شيء لا يستطيع شخص مخادع بسيط أن يحاوله.**

وافق الأصدقاء جميعا وسحبوا كراسيهم حولي كي يشاهدوا، وهم يحثونني باستمرار بنظراتهم. نهضت ببطء قائلا:

- **رجاء، تفرّجوا عن قرب. ليس هناك خدع أو حيل.**

بينما كنت أقول ذلك، لففت كفي، وجمعت مصادفة في راحة يدي بعضا من فحم حجري يحترق في المستوقد. تراجع الأصدقاء الذين كانوا مزدحمين حولي في خوف. بينما كنت أنظر إلى وجه كلا منهم وهو يبتعد خائفا من أن أقترب منه، وأحرقه.

بقيت هادئا تماما. وبعد إمساك سريع للفحم الحجري

الملتهب أمام أعينهم، رميته أرضا. بينما كانت القطع تتبعثر على أرضية الباركيه، اتخذت شكل دش مطر، سرعان ما غطي على صوت المطر المتساقط خارج النافذة. وفي اللحظة التي ترك الفحم الأحمر يدي، تحوّل إلي عملات نقدية ذهبية جميلة غير معدودة، تساقطت مثل قطرات مطر على الأرضية.

وقف كلّ أصدقائي مندهشين، مذهولين تماما حتى عن أن يصفقوا.

- **حسنا، هذا كلّ شيء.**

تراجعت إلى مقعدي بهدوء مع ابتسامة ظفر.

مزت خمس دقائق، قبل أن يسألني أخيرا أحد أصدقائي المصعوقين:

- **هل هذا المال حقيقي؟**
- **إنها عملات حقيقية. إذا اعتقدت أنها مزيفة فالتقط إحداها والق نظرة عليها.**
- **ألن تحرقني؟**

التقط أحد الأصدقاء عملة معدنية بحذر من فوق الأرضية:

- **إنها حقيقية فعلا. هيه، أيها البواب! احضر مكنسة ومجرفة واجمع هذه لنا.**

كنس البواب، كما أمر، كلّ العملات معا، وكوّمها في كومة على المائدة المجاورة لنا. تزاحم أصدقائي جميعا حول المائدة:

- **لابد أن هناك ٢٠٠٠٠٠ ين!**
- **بل أكثر من ذلك! قد يكسر الوزن منضدة أقلّ قوة!**
- **على أية حال، لقد تعلم بعضا من سحر قوي فحوّل فحما ملتهبا إلى عملات معدنية بذلك الأسلوب**
- **بهذا المعدل، سيكون أغني من "اوزاكي" و" ميتسو" في أسبوع.**

بينما أعجبوا جميعا بسحري، استرخيت فوق كرسي، نافثا دخان السيجار بهدوء. أخيرا تكلمت:

- **إذا تسبب سحري هذا في ازدياد الطمع، فلن أكون قادرا بعد ذلك على استخدامه. وهكذا وأنتم تتطلعون**

إلى هذه العملات فانني أنوي اعادتها ثانية الى المستوقد.

عند ذلك، بدأ أصدقائي اعتراضاتهم في جوقة. قالوا، ستكون بلا شعور إذا رميت مثل هذه الثروة الى المستوقد.

لكنني قاومت بعناد، موضحا لهم أنه ينبغي علي بسبب وعدي لـ"ميسرا" أن أكون متأكدا من رميها في المستوقد. عندئذ وقف أحد أصدقائي، معروف بأنه الأكثر مكرا، وضحك في وجهي:

- **تقول أنك تريد أن تعيد المال إلى المستوقد، ونحن نقول، أنك ينبغي ألا تفعل هذا. من الطبيعي، أن نستمر في هذا الجدل إلى الأبد، دون أن نصل إلى أية نتيجة. ها هي فكرتي. لماذا لا تلعب الورق معنا مستخدما هذه العملات كأموال مراهنة. إذا فزت يمكنك أن تحولها إلى فحم، أو الى أي شيء تريده. لكن إذا فزنا نحن، تسلم المال إلينا. بذلك تتوقف حجج كلا الطرفين ونكون جميعا راضين.**

ما أزال أهز رأسي، دون أن أقبل عرضه. ضحك هازئا بدرجة أكبر متنقلا ببصره ذهابا وإيابا بيني وبين العملات المعدنية على المائدة:

- **بطبيعة الحال، فان السبب في أنك لن تلعب الورق معنا، هو أنك لا تريدنا أن نحصل على مالك. إذا كان ذلك هو السبب، فأشك أن تكون قد حللت مشكلة استبعاد الطمع، كي تكون قادرا على القيام بسحرك.**
- **لا، لو أردت الإبقاء على العملات، فلم أكن لأحولها ثانية إلي فحم.**
- **إذا، لماذا لا نلعب الورق؟**

بعد أن تكرر هذا النوع من الحوار عدة مرات قررت في النهاية أنه ليس هناك خيار آخر سوى أن ألعب الورق مستخدما العملات التي على المائدة في المراهنة كما قال صديقي. كان أصدقائي جميعا، بالطبع، مغتبطين. طلبوا مجموعة ورق لعب وذهبوا إلى مائدة لعب الورق في ركن الغرفة حيث استعجلوني، وسط ترددي، للحاق

بهم بسرعة.

دون أي خيار آخر، قمت بالرحلة، وبدأت ألعب الورق مع أصدقائي متذمرا. لكن لسبب ما، فإنني في تلك الليلة كنت لاعبا جيدا بشكل عادي وليس بشكل خاص، فزت بانتظام لا يصدق. لم أكن أشعر بالرغبة في اللعب في البداية، لكنني أصبحت بالتدريج متحفسا بغرابة. وخلال عشر دقائق نسيت كل شيء، وبدأت أسحب أوراقي بحماس عظيم.

بدأ أصدقائي اللعب، بالطبع، بفكرة أنهم قد يستولون على كل العملات المعدنية دون استثناء، ولعبوا بنفاد صبر واضح على وجوههم، ممسوسين تماما بحلم الفوز. لكن اليأس بدا عندما لعب بعض منهم، وكنت غير قادر على أن أخسر، وتدريجيا فزت منهم بمبلغ مساو تقريبا لقيمة العملات الذهبية. ثم فقد الصديق المعاكس، الذي اقترح اللعب، السيطرة على نفسه بالكامل ووقف ممسكا بالكروت أمامي وهو يقول:

- **سنسحب الكارت الأعلى. سأراهن بكل ما أملك. أرضي، مباني، خيولي، سياراتي، كل ما أملك! وستراهن أنت بتلك العملات الذهبية وما ربحته توا. والآن، اسحب!**

في تلك اللحظة شعرت برهبة. جبل العملات المكومة على المائدة والمال الذي استطعت الفوز به يمكن أن يضيع في لحظة حظ سيء، ولم يكن بوسعي أن أدع أصدقائي ينالون ذلك. وإذا فزت فعلا ستكون كل تلك الأملاك لي! ما فائدة العناء الذي تكبدته في تعلم السحر إذا لم أستخدمه في وقت مثل هذا؟ بمثل هذه الفكرة في رأسي لم يكن ممكنا لشيء أن يوقفني عن استخدام السحر في فوزي.

- **حسنا. لكنك تسحب أولا.**
- **تسعة!**
- **ملك!**

صحت فرحا بنصري. أمسكت بالكارت الذي سحبته أمام معارضي الشاحب المتعرق. لكن وجه الملك تحت

تاجه في الكارت الذي سحبته خرج فجأة من الكارت، كما لو أن شيطانا تقمصه، ممسكا سيفه بثبات، وابتسم على نحو كريه ونادي بصوت مألوف:

- **أيتها الجدة! أيتها الجدة! لقد قرر ضيفنا أن يعود إلى بيته. لا تعذي الفراش.**

بدأ المطر المتساقط خارج النافذة مزة أخري كما لو كان يتساقط على ذلك السياج من الخيزران في "أومري". بينما كنت أتطلع حولي، وجدت نفسي جالسا في مواجهة "ميسرا" الذي كان يستحم في ضوء مصباح النفط الخافت متشحا بابتسامة الملك الباهتة على الكارت.

لم يسقط بعد رماد السيجار، الذي كنت أمسكه بين أصابعي. الشهر الذي بددته حالا كان حلما لمدة ثلاث دقائق بالكاد. لكن في الدقيقتين أو الثلاث دقائق تلك، كان قد أصبح واضحا، لي ولـ"ميسرا"، أنني لست شخصا مؤهلا لتعلم سحر "حسن خان". نكست رأسي محرجا غير قادر على الحديث.

أراح "ميسرا" مرفقيه على مفرش المائدة المطرزة بزهور حمراء مع نظرة شفقة في عينية، مؤنبا بهدوء:

- **إذا كنت تريد أن تتعلم السحر، عليك أولا أن تتخلي عن الطمع. أنت لم تنل من ذلك التدريب الكثير بعد.**

---

13 البرهمي، من أفراد طبقات الكهنوت العليا عند الهندوس.

14 صديق أكوتاجاوا (ومعلمه) تانيزاكي جانيشيرو، كان هو الذي قدم ماتيرام ميسرا الي جمهور اليابان بشكل كبير في روايته «حسن خان»

- فلتباركني، يا الهي!

قال «آجي داياجون تاكاكيني»[b]، ثم استطرد:

- عندما صحوت من حلم في غفوتي، شعرت أن اليوم حار بشكل خاص. لم تكن هناك نسمة هواء تهب حتى تهز أزهار نبات الاستريا المتدلية من فرع شجرة الصنوبر. إن غمغمة الربيع، التي كانت تشعرني في وقت آخر بالاعتدال، قد طمست بفناء حشرات الزيز، التي بدا أنها تزيد الحرارة الخانقة. سأدعو الآن الأولاد، كي يروّحون لي.

- أنقول أن الناس تجمعوا في الشوارع! إذن، سأذهب الى الشرفة. اتبعوني، أيها الأولاد، ولا تنسوا إحضار المراوح الكبيرة.

- تحياتي. أنا "تاكاكيني". أعذروني لخشونة ملابسي. لدي اليوم طلبا أطلبه منكم، لذلك أوقفت حافلتي عند بيت شاي "آجي". فكرت مؤخرا في المجيء إلى هنا، لكتابة كتاب قصصي كما يفعل آخرون. لكني، عرفت، لسوء الحظ، أنني لا أعرف قصصا تستحق الكتابة. يضجرني بالنسبة لعاطل مثلي، أن يكون علي أن أصدع رأسي، لذلك خططت أن تحكى لي منذ اليوم القصص القديمة، إذ ربما أضعها في كتاب. ونظرا لكوني أنا "تاكاكيني" الموجود دائما في بلاط الإمبراطور، سأكون قادرا على أن أجمع من كل الأرجاء عديدا من حكايات غير عادية وقصص مثيرة. وهكذا، أيتها الجموع الطيبة، هل تلبون طلبي؟

- هل ستلبون جميعا طلبي؟ لكم ألف شكرا! إذن، سأنصت إلى قصصكم واحدا بعد الاخر.
- هيا أيها الأولاد، ابدءوا باستخدام مراوحكم الكبيرة، كي ينطلق النسيم في الحجرة. سيجعلنا ذلك منتعشين

قليلا. أنت، يا صانع الحديد، وأنت، أيها الخزاف، لا تتأخرا. ليقترب كلّ منكما خطوة من هذه المنضدة. أيتها المرأة التي تبيع طعام "سيشي"[16]، إذا كان ضوء الشمس حارا عليك، فربما يكون من الأفضل أن تضعي سطلك في ركن الشرفة. أيها الكاهن، لتبسط يدك المباركة. وأنت، أيها الساموراي، وأنت يا كاهن الجبل هناك، هل نشرتما حصركما؟

- هل أنتم جميعا مستعدون؟ إذن، إذا كنتم مستعدين، فلتبدأ أنت أيها الخزاف، طالما أنك الأكبر سنا، بأن تروي لنا أولا القصة التي تفضلها.

أجاب الخزاف العجوز:

- نحن مقدرون تماما تحيتك المهذبة. لقد قلت بلطف انك ستضع كتاب قصص مفا سنحكيه لك، نحن الجماهير المتواضعة. هذا شرف أعظم مفا نستحق. لكني إذا رفضت، فلن يسز ذلك سيادتك. لهذا السبب، سأرفع الكلفة لأحكي لك قصة قديمة حمقاء. ربما تكون مضجرة قليلا، لكن رجاء أن تنصت إلى حكايتي لفترة.

وبدأ الخزاف العجوز يروي حكايته:

يحكي أنه حين كنت شابا يافعا في "نارا"، في الأيام الغابرة، عاش هناك كاهن يدعي "كيرودو توكيجيو"، كان له أنف كبير غير مألوف. بدت قمة أنفه القرمزي المفرط الطول على مدار السنة، كما لو أنه لسع من قبل زنبور، لذلك لقبه أهالي "نارا" بلقب "أوهانا – نو كيرودو توكيجيو"[17]. لكن لأنه كان لقبا شديد الطول راحوا يدعونه "هانازو"[18]. لقد رأيته، أنا نفسي، عدة مرات في معبد "كوفيكي" في "نارا". كان لديه ذلك الأنف الأحمر الرفيع، لدرجة أنني فكرت أنا أيضا أنه قد يكون منطقيا تماما أن يدعي "هانازو".

ذات ليلة معينة، ذهب الكاهن "هانازو"، الذي هو "هوهانا – نو كيرودو توكيوجيو"، وحده إلي بركة "ساريسارا"، دون أية صحبة من مريديه، وتقدم الى ضفة أمام أشجار صفصاف متهدل الأغصان، ووضع

لتنين أن يعيش في نتوء، فمن الطبيعي أن تعيش عشرات من التنينات في قاع بركة كبيرة مثل هذه.

بهذه الكلمات شرح المسألة لها. العجوز، التي كانت مقتنعة أن الكاهن لا يكذب أبدا، تعذى ذهولها فطنتها، فقالت:

- **حسنا، الآن، بعد أن ذكرت ذلك، فان لون الماء هناك يبدو مريبا فعلا.**

وبالرغم من أن الثالث من مارس لم يكن قد حلّ بعد، فقد هرولت مبتعدة، دون أن تعنى باستخدام عصاتها، مرتلة صلواتها لبوذا، تاركة الكاهن وحيدا خلفها.

كاد الكاهن أن ينفلق من جانبيه من الضحك مما يحدث. كان ذلك طبيعيا، لأن الكاهن لم يكن شخصا سوى مؤلف لوحة الإعلان، "كيرودو توكيجيو"، المكنّي "هانازو". كان يتمشى حول البركة بفكرة غير معقولة، بأن بعض الأشخاص السذج قد يقعون في فخ لوحة الإعلان التي وضعها الليلة الماضية. بعد أن غادرت العجوز، رأى أولا مسافرة بصحبة خادم يحمل شيئا ثقيلا على ظهره. كانت ترتدي تنوره مرسوما عليها حشرات، وراحت تقرأ لوحة الإعلان من تحت حافة قبعتها. وقف الكاهن أمام اللوحة، وهو يخنق ضحكته محاذرا بجهد كبير متظاهرا أنه يقرأها. بعد أن شم شفه بأنفه الأحمر، تراجع ببطء نحو معبد "كوفيكي". وقابل، بالصدفة، أمام البوابة الجنوبية الكبيرة للمعبد، كاهنا يدعى "امون"، كان يعيش في صومعة مثله.

قال "امون"، مغضنا حاجبه العنيد السميك القاتم:

- **لقد نهضت اليوم مبكرا بشكل غير معتاد. ربما بسبب تغير الطقس.**

أجاب "هانازو" بنظرة عارفة، موضعا أنفه:

- **ربما بسبب تغير الطقس فعلا. لقد قيل لي أن تنينا سيصعد إلى السماء من بركة ساريسارا في الثالث من مارس.**

حملق "امون"، عند سماع هذا، بشكل مريب إلى "هانازو". لكن سرعان ما أصدر صوتا منخفضا من

حنجرته، قائلا بابتسامة تهكمية:

- **أفترض أنك حلمت حلما طيبا. لقد أخبروني ذات مرة أن من يحلم بصعود تنين إلى السماء يكون سعيد الطالع.**

حاول بقوله هذا أن يتجاوز "هانازو"، وهو يرفع رأسه، التي على هيئة مدفع هاون، بحركة مفاجئة. لكن لابد أنه سمع "هانازو" يتمتم لنفسه "**ان روحا ضائعة تكون دائما بعيدة عن الخلاص**". استعاد بمثل تلك القوة الكارهة، التي بدت كدعامات من عوائق محتشدة انحنت في تلك اللحظة، وهو يسأل "هانازو" بنغمة عنيفة، كما لو كان يتحداه في خلاف بوذي:

- **هل هناك أي دليل ايجابي على أن تنينا سيصعد إلى السماء؟**

لجأ "هانازو" عقب ذلك الى هدوء مثالي، وهو يشير نحو البركة، التي بدأت الشمس فعلا بتسليط ضوئها عليها، وأجاب ناظرا لأسفل:

- **إذا شككت في ملاحظتي، فينبغي عليك أن ترى لوحة الإعلان أمام الصفصاف المتهدل الأغصان.**

عنيدا، كما كان "أمون"، لابد أن تفكيره المخلص المعتاد قد فقد قليلا من تهوره الأولي. تساءل بصوت فاتر بصورة عمياء، كما لو أن عينيه أبهرتا:

- **حسنا، هل وجدت مثل لوحة الإعلان تلك؟**

وتحول إلى حالة متأملة، بهيئة رأسه، التي كانت على شكل مدفع هاون، مائلة إلى جانب واحد.

ربما تتخيل كم كان ذلك مسليا تماما لـ"هانازو" وهو يراه يبتعد. شعر بحكة كلية في أنفه الأحمر، وعندما صعد السلالم الحجرية للبوابة الجنوبية الكبيرة بتعبير متجهم على وجهه، لم يستطع رغم ارادته أن يمنع نفسه عن الانفجار في الضحك.

كان لذلك الصباح الأول من لوحة الإعلان التي تقول "**سيصعد تنين في الثالث من مارس**"، تأثير عظيم على الجمهور. وخلال يوم أو أثنين، أصبح التنين في بركة "ساريساوا" حديث كل بلدة "نارا". وبالطبع، قال البعض

ان "لوحة الإعلان قد تكون خدعة من شخص ما"

انتشرت في نفس الوقت أيضا في "كيوتو" إشاعة أن التنين في "شينسن" قد صعد إلي السماء. حتى أولئك الذين صرّحوا بأن النبوءة على لوحة الإعلان كانت خدعة، بدءوا يتأرجحون بين الإيمان والشك في حقيقة الإشاعة، وبدءوا يعتقدون أن مثل هذا الحدث ممكن الوقوع.

عندئذ فقط، وقعت أعجوبة غير متوقعة. بعد أقل من عشرة أيام، كانت ابنة كاهن "هنتو"، ذات السنوات التسع من عمرها، تمشط ورأسها في حجر أمها، حين سقط تنين أسود مثل غيمة من السماء، قائلا بلسان بشري: **"سأصعد أخيرا إلي السماء في الثالث من مارس. لكن لترتاحوا بيسر طالما أنني أتوقع ألا أسبب ضررا لسكان المدينة".**

حكت الابنة الحلم لأمها في اللحظة التي استيقظت فيها. أشاع حديث أن بنتا صغيرة قد حلمت بالتنين في بركة "ساريساوا"، إحساسا عظيما في البلدة. وتعرّضت القصة لمبالغات بشكل أو بآخر، مثل أن طفلة مسكونة بالتنين كتبت قصيدة، أو أن التنين ظهر لفلان، وأنه جاء في حلم كاهن ضريح ومنحه كشفا قدسيا.

بمرور الزمن، ذهب أحد الرجال إلى حد القول بأنه رأى تنينا فعلا، على الرغم من أنه لا يمكن أن يتوقع أن يرفع تنين رأسه فوق الماء. كان رجلا عجوزا يذهب إلى السوق كلّ صباح ليبيع سمكا. جاء الى بركة "ساريسارا" فجر أحد الأيام. رأى خلال سديم الصباح الامتداد العريض لوميض الماء مع ضوء خافت تحت الضفة، حيث انتصبت أشجار الصفصاف المتهدلة الأغصان، وحيث بدت لوحة الإعلان. على أية حال، حدث ذلك عندما كانت إشاعة التنين على كلّ لسان. لذلك اعتقد الرجل أن التنين الإله قد ظهر. ترك ما اصطاده من سمك هناك، مرتجفا تماما بهذه السعادة الحزينة والفكرة المخيفة إلى حد ما، وانسل، منطلقا إلى الصفصاف المتهدل الأغصان، محاولا التحديق في البركة. رأى

وحشا مجهولا مثل سلسلة سوداء ملتفة بشكل مشنوم في قاع الماء الخافت الإضاءة. انفلت الوحش المخيف ربما خائفا من خطوات بشرية، واختفى في مكان ما في غمضة عين. عندما شاهد الرجل ذلك، غمره عرق بارد. ورجع الى المكان الذي ترك فيه سمكه، ليجد أن مقدارا من السمك قد اختفى، منه بعض الشبوط والانقليس، الذي كان يحمله الى السوق. ضحك البعض من هذه الإشاعة، قائلين "ربما خدعه كلب ماء عجوز". لكن عددا غير قليل، قال **"طالما أنه من المستحيل لكلب بحر أن يعيش في البركة، حيث يحكم الملك التنين ويحمي، فلابد أن التنين الملك أخذته الشفقة على حياة السمك، ولابد أنه استدعى السمك الى أسفل البركة حيث يعيش"**

في هذه الأثناء، زاد الحديث حول لوحة الإعلان **"سيصعد التنين من هذه البركة في الثالث من مارس"** أكثر وأكثر، وانتشى "هانازو" بهذا النجاح، مقرظا نفسه، وممددا أنفه. أخذ الوقت ينقضي حتى اقترب الثالث من مارس. وقبل أربعة أو خمسة أيام من الموعد المحدد لصعود التنين، ولدهشة "هانازو" العظيمة، جاءت عفته، كاهنة معبد "ساكيراي" بمقاطعة "ستسو" عبر طريق طويل الى "نارا"، قائلة أنها أرادت بشتى الطرق أن ترى صعود التنين. أحرج "هانازو" تماما، ولجأ الى التخويف، والملاطفة، وألف حكاية أخرى كي يقنعها بالرجوع الى ساكيراي. لكنها رفضت بعناد، ومكثت بدون الاستماع الى نصيحته، قائلة:

- **إنني عجوز تماما. سأموت سعيدة، إذا أمكنني أن ألقي نظرة على التنين الملك، وأبجله.**

لم يستطع "هانازو" أن يعترف الآن بالأذى الذي تسبب فيه، وبأنه هو نفسه من وضع لوحة الإعلان. انسحب "هانازو" أخيرا، ولم يوافق فقط على الاعتناء بعمته حتى الثالث من مارس، بل ووعد أن يصطحبها أيضا لرؤية صعود التنين الإله في اليوم المحدد.

منذ أن سمعت عفته الكاهنة عن التنين، انتشرت

الإشاعة عبر محافظات ستسي، أزيمي، وكاواشي، ومن المحتمل الى محافظات أبعد، الى هاريما، ياماشيرو، أومي، وتامبا، دون أن نقول شيئا عن محافظة ياماتو. إن الأذى الذي سببه بنية خداع الناس في "نارا" جلب نتيجة غير متوقعة من خداع عشرات الآلاف من الناس في عدة محافظات. وحين فكر "هانازو" بذلك، شعر بأن قلقه أكثر من سروره. حين كان يطلع عمته، الكاهنة، على معابد "نارا" كلّ يوم، كان لديه شعور بالذنب لمجرم اختفى عن أنظار الشرطة. لكن بينما شعر من ناحية بعدم راحة، حين عرف من الحديث المتداول في الطرقات أن بخورا قد أحرقت، وأن زهورا قد وضعت أمام لوحة الإعلان، فانه من ناحية أخرى شعر بسعادة كما لو أنه أنجز عملا عظيما.

مرت أيام، وأخيرا حلّ الثالث من مارس، حين كان ينبغي أن يصعد التنين الى السماء. ونظرا، لأن وعده لعمته لم يدع له أي بديل، فقد رافقها مترددا الى قمة السلالم الحجرية للبوابة الجنوبية الكبيرة لمعبد كوفيكي، الذي سمح بنظرة عين طائر على بركة ساريسارا. كان يوما صحوا، دون غيوم، ولم يكن هناك مجزد نسمة ريح لتقرع جرسا عند البوابة.

كان المشاهدون الذين يتطلعون الى ذلك اليوم قد احتشدوا من محافظات كاواشي، أزيمي، ستسو، هاريما، ياماشيرو، أومي، تامبا، ومحافظات أخرى، دون أن ننسى مدينة "نارا". رأى "هانازو" متطلعا من قمة السلالم الحجرية، بقدر ما تستطيع العين أن تبصر، بحرا من بشر، يمتد في المسافة القائمة من كلّ الاتجاهات الى نهاية المرور العام لـ"نينجي". تحافت كلّ أنواع أغطية الرأس الاحتفالية في موجات. كانت هنا وهناك عربات ثيران، زينت بإتقان بشرّابات زرقاء وحمراء، أو أستار حسنة الذوق، ارتفعت على شكل أبراج فوق جموع البشر، طغمت أسقفها بذهب وفضة أشرقا متألقين في ضوء الشمس الربيعي الجميل. رفع بعض الناس شمسيات، وآخرين نصبوا خياما مستوية، وأقام آخرون أجنحة

متقنة في الشوارع. هكذا عرضت المنطقة القريبة من البركة، المنتشرة تحت بصره، مشهدا يشبه مهرجان "كامو"، فقط في غير أوانه. الكاهن "هانازو"، الذي رأى هذا الآن، لم يكن قد حلم أن مجرد عرض لوحة إعلان قد يسبب مثل هذه الإثارة العظيمة.

- **يا لها من حشود من البشر!**

قال هانازو بصوت فاتر، ناظرا خلفه، الى عفته مندهشا دهشة عظيمة. وقرفص أسفل عمود من البوابة الجنوبية الكبيرة، دون أي استعداد على ما يبدو، ليتشمم بأنفه الكبير.

لكن عمته الكاهنة، كانت بعيدة عن أن تكون قادرة على أن تقرأ أفكاره الأعمق. نظرت، مادة رقبتها لدرجة أن قلنسوتها، انخلعت تقريبا، وهي تنظر حولها هنا وهناك، مترثرة بشكل مستمر:

- **حقا، ان منظر البركة حيث يعيش التنين الملك رائعة. وطالما ظهرت مثل هذه الحشود الكبيرة، فان التنين الإله سيظهر بالتأكيد، أليس كذلك؟، الخ.. الخ..**

لم يستطع هانازو أن يظل مقرفصا أسفل العمود، لذا نهض مترددا، ليجد حشدا كبيرا من الناس على السلالم الحجرية بأغطية رأس احتفالية متجعدة أو مثلثة الشكل. وأمكن التعرف بين الجمهور على الكاهن "امون"، وهو ينظر باهتمام شديد نحو البركة، برأسه شبيه بهدف مورتار مرتفع بشكل واضح فوق رؤوس الآخرين. أمام هذا المشهد، نسى "هانازو" فجأة شعوره التعس. نادى على الكاهن "أمون" متسللا، ومدغدغا بفكرة أنه قد جذب حتى هذا الزميل الى ما يحدث:

- **أيها الكاهن..**

سأله بسخرية:

- **هل أنت هنا أيضا لمشاهدة صعود التنين؟**
- **نعم.**

أجاب "أمون"، ناظرا الى الوراء بشكل متغطرس. ثم متلبسا نظرة جدية تماما، مع ازدياد تصلب حاجبيه السميكين القاتمين، استطرد:

- **انه بطيء في الظهور.**

شعر "هانازو" أن الخدعة قد تجاوزت حذها، وغاض صوته المرح وهو ينظر بشكل أحمق عبر بحر البشر عاجزا كما كان دائما. لكن رغم مرور وقت طويل، لم تكن هناك مؤشرات على صعود التنين الى السطح الشفاف للماء الذي أصبح أدفأ قليلا على ما يبدو، عاكسا بوضوح أشجار الكرز والصفصاف على الضفة. بدت البركة اليوم أصغر من المعتاد، ربما بسبب أن جماهير المشاهدين ازدحمت لأميال حولها، مدفوعة بانطباع وجود تنين هناك.

انتظر كلّ المشاهدين بصبر واهتمام مبهوري الأنفاس، كما لو أن اللاوعي أصبح ممزا للساعات. انتشر بحر الناس تحت البوابة بشكل أوسع فأوسع. أصبحت عربات الثيران، بمرور الوقت، كبيرة العدد لدرجة أنه في بعض الأماكن دفعت محاور إحداها الأخرى. ربما أمكن من الحساب السابق تخيل كيف شعر "هانازو" البائس أمام هذا المشهد. ثم حدث شيء غريب، عندما بدأ "هانازو" يشعر في قلبه أنه من المحتم أن يصعد التنين حقا. راوده في بادئ الأمر، شعور بأنه مستحيل على التنين أن يصعد. بطبيعة الحال، كان هو مؤلف لوحة الإعلان، وهو ما كان يوجب عليه ألا يتسلى بمثل هذه الفكرة العبثية. لكن بينما كان ينظر الى اندفاع أغطية الرأس الاحتفالية، بدأ فعلا ينتابه الشعور بأن مثل هذا الحدث الخطير قد يحدث.

ربما وقع ذلك، لأن الحماس المتضاعف للناس أثار إعجاب "هانازو" دون أن يكون واعيا له. أو ربما شعر بالذنب، حين فكر مليا في حقيقة أن خدعته سببت مثل هذا الحماس العظيم العام. وأنه دون أن يكون مدركا لذلك، بدأ يرغب من أعماق قلبه أن يصعد التنين من البركة. أيا كان السبب، فقد خبا شعوره البائس تدريجيا، رغم أنه عرف بشكل تام أنه كان هو نفسه من كتب الجملة في لوحة الإعلان، ثم بدأ هو أيضا بالتحديق الى سطح البركة باهتمام شديد كعمته. حقا، لم يكن مخدوعا

بمثل ذلك الهوى، ومن ثم لم يستطع أن يظل واقفا تحت البوابة الجنوبية الكبيرة طوال اليوم منتظرا الصعود المستحيل للتنين.

لكن بركة ساريساراء لم تكن مجرد موجة متمردة عكست ثانية ضوء الشمس الربيعي. كانت السماء لامعة، صافية، بدون أية ذرة من غيمة طافية. مازال المشاهدون مكتظين مباشرة تحت شمسيات وخيام مستوية ووراء أسوار الأجنحة، ينتظرون ظهور التنين الملك في مرحلة تحقق توقعاتهم، كما لو كانوا غافلين عن مرور الوقت منذ الصباح الى الظهر، ومن الظهر حتى المساء.

انقضي نصف اليوم تقريبا، منذ أن وصل "هانازو" الى هناك. وإذا بشعاع من غيمة مثل دخان تخلف في الجو عن عود بخور، صار فجأة أكبر وأكبر، وإذا بالسماء، التي كانت لامعة وصحوا تصبح معتمة. انسابت في تلك اللحظة هبة ريح فوق سطح البركة، وعكرت السطح الزجاجي للماء بموجات لا تحصي، وفي طرفة عين هطل مطر أبيض كما السيول، قبل أن يستعد المشاهدون أينما كانوا، للعدو مسرعين في فوضى. علاوة على ذلك، دوى قصف رهيب من الرعد فجأة، وطارت ومضات البرق من فرد الى آخر مثل لحمات نسيج. ثم بدت أيدي ذات كلابات في تمزيق عنقود الغيوم، وارتفع ماء في محور قوتها متدفقا فوق البركة. أمسكت عينا "هانازو"، في تلك اللحظة، برؤية مشوشة لتنين أسود يتجاوز طوله مائة قدم صاعدا مباشرة الى السماء بمخالب ذهبية وامضة. لكن ذلك حدث في ومضة عين، وسط عاصفة أزهار كرز طائرة حول البركة صاعدة نحو السماء المعتمة. ليست هناك مدعاة للقول أن المشاهدين المرتيكين، وهم يفزون بعيدا شكلوا موجات بشرية تماوجت مثل موجات البركة.

توقف المطر الغزير في النهاية، وبدأت سماء زرقاء تطل خلسة من بين الغيوم. عندئذ تطلع "هانازو" حوله، كما لو أنه نسى أنفه الكبير. هل كان شكل التنين، الذي

رآه منذ لحظة، وهما؟ بينما كان مؤلف لوحة الإعلان يتساءل، بدأ يشعر أن صعود التنين كان مستحيلا، على الرغم من أنه رآه فعلا. لذلك، كلما فكر مليا في الحادثة أكثر، ازداد الأمر غموضا. وفي ذلك الوقت، عندما رفع عمته، التي كانت ترقد أسفل العمود القريب ميتة أكثر منها حية، كان غير قادر على إخفاء حيرته وخوفه. سألها بخجل:

- **هل رأيت التنين؟**

أطلقت عمته، التي كانت منذهلة لفترة من الوقت، تنهيدة عظيمة، ولم تفعل شيئا سوى تكرار إيماءتها بخوف، وبصوت مرتعش أجابت فورا:

- **بالتأكيد رأيته. ألم يكن التنين، أسود اللون في جميع الأنحاء، مع مخالب ذهبية وامضة؟**

من المحتمل أنها لم تكن فقط عينا "هانازو"، أو "كيرودو توكيجيو"، هي التي رأت التنين. نعم، قيل في وقت لاحق ان أغلب الناس، من كلّ الأعمار والأجناس، الذين كانوا هناك في ذلك اليوم، رأوا التنين الأسود صاعدا الى السماء في غيمة داكنة.

حكوا لي أن "هانازو" اعترف لاحقا بأن لوحة الإعلان كانت فكرته الخاصة المؤذية. لكن أحدا من زملائه الكهنة لم يصدق اعترافه، ولا حتى "امون" نفسه. والآن، هل أصابت لوحة الإعلان الهدف؟ أم أنها حادت عنه؟ أسأل "هانازو"، أو "كيرودو توكيجيو" ذا الأنف الكبير، ومن المحتمل أنه هو نفسه غير قادر على الإجابة عن هذا السؤال.

- **يا لها من قصة غامضة، حقا!**

قال "أجي داياناجون تاكاكيني". ثم استطرد:

- **يبدو أن التنين عاش في بركة ساريساوا هذه، في تلك الأيام الخالية. ماذا! لابد أن التنين عاش هناك، في الأيام الخالية. أعتقد الناس في تلك الأزمنة، أن التنينات تعيش في قاع الماء. لذلك، كان من الطبيعي، أن تطير بين السماء والأرض، وأن تظهر أحيانا في أشكال غامضة مثل آلهة. لكنني أفضل أن أسمع**

قصصك، عن أن أضع تعليقاتي. ستكون القصة القادمة عن دور الكاهن المتحول، أليس كذلك؟

- **ماذا.**

استطرد "تاكاكيني":

- هل ستكون قصتك حول كاهن ذي أنف طويل يدعي "ايكنو – نو زنشانايجي"؟ ستكون التالية لقصة "هانازو" هي الأكثر إثارة كلية. والآن، احكها لي، حالا ..

---

15 آجي داياجون تاكاكيني (١٠٧٨-١١٦٠)، كان داياجون هو المسئول الحكومي للمجلس الرئيسي للدولة في الأزمنة الماضية. آجي تاكاكيني، هو مؤلف أعمال تراثية، مع أنها ليست بأصالة المؤلف آجي شيشي «مقتنيات من حكايات آجي»، الذي أخذ عنه 'كوتاجاو' قصته.

16 هو أرز مخلل يتضمن السمك والخضروات.

17 «أوهانا» تعني أنف، «كيرودو» تعني مسئول الأرشيف الإمبراطوري، وقد تعني «توكيجيو» شخصا ضليعا في التزمت الديني.

18 قد تعني «ناهازو» تابعا ذا أنف كبير، وقد تعني زميلا متغطرسا.

- **كان هناك معبد في "ناجاسيمبشو اساكينا"، سمي "شينجوجي".**

بهذه الكلمات بدأ ضيفي حكايته، ثم استطرد:

- **انه ليس معبدا كبيرا. لكن يقال ان له أهمية من الناحية التاريخية. كان في داخل المعبد تمثال خشبي للقديس "نيشيرو"**

في خريف العام الثاني والعشرين من عصر "الميجي"[9]، عثروا على طفل رضيع مهجورا أمام باب المعبد. كان ملفوفا في ثوب كيمونو حريري قديم، ورأسه مستند إلي خف امرأة مع شريط ممزق. لم يكن هناك أي شيء آخر مع الطفل الرضيع لحلّ لغز اسمه أو عمره.

كان مالك معبد "شينجوجي"، في تلك الأيام رجلا عجوزا يدعي "تاميرا نيسو". كان "تاميرا" مشغولا بصلوات الصباح المألوفة، حين جاء البواب لإخباره بوجود طفل رضيع مهجور. أجاب الكاهن، نصف متجه إلى البواب، كما لو أنه لم يحدث شيء غير عادي:

- **حسنا، احضره هنا!**

حين رجع البواب حاملا الرضيع بشكل سيء، تناول الكاهن الطفل فورا، وراح يهزه رخي البال بين ذراعيه:

- **أوهـ يا لك من طفل جميل!**

ثم استطرد بهدوء:

- **لا تبك! لا تبك! سأعتني الآن بك.**

حكي البواب العجوز لاحقا حكاية الكاهن تلك لزوار المعبد وهو يبيع لهم البخور. وكما قد تعرف، يقال ان العجوز "نيسو" وهو في التاسعة عشرة من عمره، اكتسي بالجص أثناء شبابه في "فيكاجاوا"، بعد أن سقط من بعض السقالات سقوطا مدويا، وحين استعاد وعيه، امتلأ بحماس ديني لأسباب مجهولة، وأصبح كاهنا وعرف في النهاية بالقديس "نيسو".

كان شخصا استثنائيا، يحيطه جوّ بطولي.

سمي الكاهن "نيسو" الطفل المهجور "يينوسيك"، واهتم به كما لو كان من صلبه. لم يكن ذلك عملا سهلا، لأنه لم تكن في المعبد أية امرأة على الإطلاق. اعتنى "نيسو" بالطفل الرضيع بنفسه، فكان يهزه، ويغذيه في لحظات الفراغ بين صلواته اليومية.

حدث ذات مرة، عندما كان الطفل "يينوسيك" يعاني من برد حاد، وكان لابد لـ"نيسو" أن يحضر مراسم دينية في بيت سمسار سمك يدعي "نيشيناتسي"، أن احتضن الطفل المحموم بداخل عباءته، وأعد سبحه البلورية، وصلى بهدوء.

غالبا ما وعظ "نيسو" زوار المعبد، ومازال المرء حتى اليوم يستطيع أن يرى تمثال عجوز سنفافوري خشبي معلقا على عمود في مدخل معبد "شينجيوشي"، مع ملاحظة معزضة للجو **"الخطبة في السادس عشر من كلّ شهر"**. وعندما كان "نيسو" يعظ، كان يغلف خطبه بحكايات اليابان والصين القديمة. وغالبا ما دعا الناس ألا ينسوا أهمية الحب الأبوي كطريق لإبداء تقدير الفرد لـ"بوذا". وعلى الرغم من مظهره الصارم كان "نيسو" متعاطفا تماما. ورغم أنه أحب "يينوسيك" كابن من صلبه، إلا انه تمنى لو يقابل الولد أمه ذات يوم، إذا كان ذلك بالإمكان.

عندما بلغ "يينوسيك" الثالثة من عمره، زارت المعبد امرأة ضخمة البنية، قدمت نفسها على أنها أم الولد. لكن عندما استجوبها "نيسو" حول الولد، تلقي بالمقابل أجابات مريبة. بدا للكاهن أن تلك المرأة تعتزم استخدام الولد في مشروع لتحقيق المال، وهو ما أغضب "نيسو" بشدة، لدرجة أنه كاد أن يكون عنيفا. عنف المرأة بصوت مرتفع، وأمرها بمغادرة المعبد.

في شتاء السنة السابعة والعشرين من عهد الميجي، عندما كان العالم مليئا بإشاعات حول حرب محتملة بين اليابان والصين، ألقي "نيسو" خطبته في اليوم السادس عشر من الشهر كما هو معتاد. كانت من بين مستمعيه امرأة أنيقة، بدت في منتصف الثلاثينات، تبعت الكاهن

بعد الخطبة، بشكل رصين إلى مسكنه، حيث كان "ييتوسيك" جالسا عند المصطلى، وهو يقشر احدى تمرات اليوسفي. بعد القاء نظرة متعجلة إلى "ييتوسيك"، انحنت المرأة بعمق للكاهن "نيسو"، واضعة راحتي يديها على أرضية المعبد، قائلة بصوت مرتجف من التوتر:

- **أنا أم هذا الطفل.**

صدم "نيسو" بشدة من اعترافها، وهو الرجل الهادئ عادة، لدرجة أنه لم يستطع أن ينطق بكلمة تحية. تجاهلت المرأة دهشته بكياسة، وشكرته لتربية ولدها. تحدثت كما لو أنها تستظهر كلاما محفوظا عن ظهر قلب، ناظرة بثبات إلى حصيرة الأرضية. لكن كل جزء من جسمها أظهر توترا فظيعا كانت واقعة تحت وطأته.

بعد فترة، لوح "نيسو" بمروحته، مقاطعا كلمات المرأة الشاكرة، وطلب منها أن توضح له لماذا هجرت طفلها. ظلت تنظر إلى الحصيرة وهي تقض عليه الحكاية التالية:

امتلك زوجها، قبل خمس سنوات، مخزن أرز في "تاواراماشي"، بـ"أوزاكا"، ونتيجة تخمين فاشل في المضاربة بالأسهم فقد كل شيء..عمله وكل أملاكه. حينذاك قرر الزوجان أن ينتقلا إلي "يوكوهاما" هربا من الدائنين. كما أدركا أن طفلا رضيعا جديدا سيكون عبئا صعبا، بينما الحياة على المحك. والأسوأ من ذلك، أن الزوجة لم تستطع أن ترضع طفلها حليب صدرها. وهكذا، بعد تردد، تركا الطفل الرضيع أمام بوابة المعبد في شيجيوجي، بينما كانا يغادران طوكيو.

ذهبا إلي يوكوهاما سيرا علي الأقدام، آملين في الحصول على دعم من أحد الأقرباء هناك. وجد الزوج عملا في شركة نقل، وأصبحت الزوجة خادمة في محل يبيع تجهيزات الخياطة. عملا باجتهاد لمدة سنتين. ولحسن الحظ، كان مالك شركة النقل معجبا بأمانة الرجل، فجعله مدير فرع صغير في شارع مزدحم في هونبوكي، وأمكن للمرأة أن تتوقف عن العمل كخادمة

وأن تستفز مع زوجها مزة أخرى. ثم أصبحت حاملا، وأنجبت ولدا صحيح الجسم في العام التالي. لكن الأثنين كانا في أعماق قلبيهما مازالا يتذكران طفلهما الرضيع المسكين المهجور. وكانت المرأة، بشكل خاص، كلما أطعمت طفلها الجديد تتذكر الليل الذي غادرا فيه طوكيو.

وعلى الرغم من أن المخزن كان في حركة دائمة، فقد نما طفلهما الرضيع الجديد يوما بعد يوم، وأصبحا قادرين على توفير بعض المال في بنك. وللمزة الأولى منذ عدة سنوات، أصبحا قادرين على أن يعيشا حياة سعيدة.

لكن حظهما السعيد لم يستمر طويلا، ففي بداية ربيع العام السابع والعشرين في عهد الميجي، أصيب الأب بالحمى النمشية ومات خلال أسبوع. وفي أقل من مائة يوم بعد وفاة الزوج، مات طفلهما المحبوب فجأة من الإسهال. بكت الأم بشكل مستمر لعدة أيام وليال، وسقطت في لجة الحزن الأشهر الستة التالية. حين تعافت أخيرا، كان طفلها الأول هو أول من فكرت فيه، الطفل الذي هجرته. كانت متلهفة لرؤيته. فكرت "**أتمنى أن أربي الولد بنفسي مزة أخرى**". وكان ينبغي عليها أن تعرف إن كان مازال حيا، ولم تنتظر دقيقة واحدة. ركبت قطارا في الحال، ووصلت في النهاية إلى طوكيو.

حين وصلت الي شينجوجي، أرادت أن تذهب مباشرة إلي المناطق السكنية، وأن تسأل أي شخص عن المكان المحتمل وجود الولد فيه. وفي صباح اليوم السادس عشر، وكان الكاهن يلقي خطبته المألوفة. جلست بين الجمهور في القاعة، بينما كان "نيسو" يلقي خطبته. انتظرت أن ينتهي الكاهن بنفاد صبر، وهي مشغولة بأفكارها حول طفلها المهجور منذ زمن طويل.

تحدث "نيسو" أثناء خطبته، عن أهمية الحب الأبوي، مستشهدا بحكاية السيدة "رينج" وأطفالها الخمسمائة التي تحكي أن السيدة "رينج" وضعت خمسمائة بيضة. وانتقل البيض طافيا على سطح نهر إلى بلد مجاور،

حيث فقس متحولا إلى أطفال، رباهم مالك تلك الأرض. وتفت تنشئة الأطفال الخمسمائة ليصبحوا جنودا، سرعان ما هاجموا قلعة السيدة "رينج" دون أن يعرفوا علاقتهم بها.

ما أن علمت السيدة رينج بأمر الهجوم، حتى تسلقت قمة حائط القلعة، وقالت لهم:

- **إنني أمكم، وهذا هو برهاني!**

أخرجت ثديها، وعصرته بيدها المحبة، فتدفق اللبن كنافورة إلى أسفل حائط القلعة العالي نحو أفواه الخمسمائة جندي.

بعد خطبة الكاهن "بيسو" هرولت المرأة سيئة الحظ مباشرة إلى الخارج عبر مدخل يؤدي إلى المناطق السكنية، وعيناها مخضلتين بالدموع. لقد أثارت حكاية الخمسمائة بيضة إعجابها كثيرا.

بعد الإنصات بصبر إلى ما قالته المرأة، استدعى الكاهن "نيسو" الطفل "بينوسيك" إلى المصلى، وقدمه إلى أمه. كانت هذه هي المرة الأولى التي يراها فيها الولد خلال خمس سنوات. حين رأى "نيسو" كيف احتضنت المرأة "بينوسيك"، كابحة دموعها، اقتنع الكاهن بأن ما قالته له هو الحقيقة. حتى الكاهن البطل ناضل رغم أنه ابتسم ظاهريا كي يحبس دموعه.

قد تكون قادرا على أن تخمن بقية الحكاية. أخذت المرأة "بينوسيك" إلى بيتها في يوكوهاما. اتبع الثنائي الطيب، نصيحة أرباب العمل السابقين، وامتلكا شركة نقل، وبدأت الأم تعين نفسها بتعليم أعمال التطريز. وعاشت، هي والولد، حياة متواضعة لكنها مريحة.

بعد حكايته الطويلة، تناول ضيفي كوب الشاي الموضوع على الأرضية أمامه. نظر إلى وجهي، قبل أن يشرب، وأضاف بهدوء:

- **أنا ذلك الطفل المهجور.**

صببت ماء ساخنا أكثر في إناء الشاي، مومئا، دون كلمة. خمنت بيسر، أن حكاية الطفل المهجور، كانت تأريخا شخصيا لضيفي "ماتسيبارا بينوسيك".

سألته بعد صمت قصير:

- **هل مازالت أمك بصحة جيدة؟**

كان جوابه مفاجأة:

- **لا، لقد ماتت قبل سنتين. لكن تلك الأم، لم تكن أمي الحقيقية.**

وعدتني عيناه بتسلية طفيفة وهو يشاهد وقع المفاجأة علي.

- **حقيقي كان لدى زوجها مخزن أرز في تاواراماشي بأوزاكا، وحقيقي أنهما مزا بفترة عصيبة في يوكوهاما، لكن يبدو أنها كانت كذبة تلك التي تم بها تبرير هجران الطفل الرضيع. ونظرا لأنني كنت أتعامل في غزل القطن، كنت غالبا ما أسافر حول بيجاتا بخصوص العمل. وحدث ذات مرة، عندما كنت راكبا قطارا، أن صادفت تاجر حقيبة، عاش في تاواراماشي مجاورا لبيت أمي. أخبرني التاجر أنها وضعت طفلة ماتت قبل إفلاس العائلة.**

بعد أن رجعت إلى يوكوهاما، تحززت سزا حول سجل عائلتي، ووجدت أن كلمات التاجر حقيقية. ماتت الطفلة وعمرها ثلاثة أشهر.

لقد كذبت أمي ، بشكل لا يصدق، لكي تربيني، أنا الطفل المهجور، واعتنت بي بشكل جيد تماما في العشرين سنة التالية.

كم تساءلت كثيرا، عن مبزر مافعلته تلك المرأة. مهما تكن الحقيقة، فان الأكثر معقولية بالنسبة لي أن أفترض أن خطبة "نيسو" قد حققت تأثيرا استثنائيا في تلك المرأة المنعزلة. ربما قررت، بعد سماع الخطبة، أن تمثل دور أم الطفل المهجور، ربما تكون قد سمعت عن الطفل المهجور من بعض زائري المعبد، أو من البواب.

أنهى ضيفي حكايته، وعلى وجهه نظرة متأملة. شرب كوبه من الشاي في صمت، كما لو أنه لاحظه للمزة الأولى.

تساءلت:

- **وهل أخبرت أمك أنك عرفت الحقيقة؟**

أجاب:

- **لا، لم أفعل. قد يكون هذا شديد القسوة. لكني أعتقد أنها شعرت بنفس الشعور، رغم أنها لم تقل أية كلمة. لكني، بعد معرفة الحقيقة، شعرت بأمي بشكل مختلف تماما.**

تساءلت، ناظرا باهتمام إلى عينيه:

- **ماذا تعني بذلك؟**

أجاب، قائلا:

- **أقدمت على حبها بشكل أكبر بكثير. لقد شعرت، بعد معرفة سرها أنها أكبر بكثير من مجرد أم لي، للولد المهجور.**

تحدث ضيفي بتأثر عظيم عن أمه، لكن يبدو أنه لم يفهم، أنه هو أيضا كان أكبر بكثير من مجرد ابن.

---

19 عصر الميجي يقع بين سنوات ١٨٦٨-١٩١٢ م.

الجزء الأول

كان موريتو يتمشى على أوراق أشجار ساقطة خارج سياج بيته ناظرا إلى القمر بشكل جذي.

مناجاة موريتو

"يبزغ القمر الآن. عادة أنتظر بزوغ القمر بنفاد صبر. لكن بزوغه هذه الليلة، صدمني برعب. أرتجف من مجرد التفكير بأنني سأدفر هذه الليلة نفسي الحالية، وأحولها إلى قاتل تعس. أتخيل عندما تتحول هاتان اليدان إلى لون قرمزي من الدم! يا له من كائن ملعون سأبدو عليه أمام نفسي عندئذ! لن يعتصر الألم قلبي إذا تحتم علي أن أقتل عدوا أكرهه، لكن علي هذه الليلة أن أقتل رجلا .. لا أكرهه.

عرفته منذ زمن طويل. مع أنني عرفت اسمه مؤخرا فقط، "واتاري سيمون – نو – جو"، وعرفت وجهه الوسيم، الذي أتذكره منذ ذلك الحين. وحين اكتشفت أنه زوج "كيزا"، احترقت حقا بالغيرة لفترة. لكن غيرتي ذوت حاليا دون أن تترك أثرا في عقلي أو قلبي. وهكذا، فليست هناك كراهية أو ضغينة لمنافسي في الحب. بل، بالأحرى، أفكر فيه بلطف. حين أخبرتني عمتي "كوروموجاوا" كيف أنه لم يأل جهدا أو مسعى لكسب قلب "كيزا"، شعرت بتعاطف معه. استنتجت من جهده رغبته المتحفسة للفوز بها زوجة، بل انه تحمل متاعب كتابة الشعر أيضا. لا أستطيع أن أتخيل كتابة قصائد حب من رجل بسيط وعادي إلا وتظهر ابتسامة على شفتي رغما عني. إنها ليست ابتسامة ازدراء، لأنني متأثر برقة رجل يمضي عبر مثل تلك المسارات لكسب ود امرأة، بل من المحتمل أن يكون هذا الهوى العاطفي، الذي يجعله يعبد محبوبتي "كيزا"، هو ما يمنحني بعض الرضا.

لكن هل أحب "كيزا" فعلا؟ ربما تنقسم علاقة حبنا إلى مرحلتين، الماضي والحاضر. لقد أحببتها قبل أن تتزوج "واتاري"، أو أظن أنني فعلت. لكن، حين أنظر حاليا إلى قلبي، أجد أن هناك أكثر من دافع. ماذا أردت منها؟ إنها نوع من نساء أشعرني برغبة جسدية حتى عندما كنت عفيفا. وإذا سمح لي بالمغالاة، لقلت أن حبي لها ليس أكثر من زخرف عاطفي لذلك الدافع الذي حزك آدم نحو حواء. هذا يدلل بوضوح على شكوكي في استمرار حبي لها، لو أن رغبتي فيها كانت قد أشبعت. ومع أنني أبقيتها في ذهني ثلاث سنوات بعد انتهاء العلاقة، فإنني لا أستطيع القول بالتأكيد أني أحبها. كان أسفي أعظم، في ارتباطي التالي معها، لأنني

لم أعرفها بحميمية. وقعت معها معذبا بالسخط في العلاقة الحالية، التي أفزعتني، والتي أدركت أنها لابد أن تأتي. الآن أسأل نفسي مجددا **"هل أحبها حقا؟"**

عندما قابلتها ثانية، بعد ثلاث سنوات، في احتفال اكتمال جسر "واتاناب"، لجأت إلى كل أنواع الوسائل، كي أنتهز فرصة لمقابلتها سرا. وأخيرا نجحت. لم أنجح في مقابلتها فقط، بل نلت جسدها أيضا، كما حلمت به. لم يكن أسف أنني لم أعرفها بدنيا، هو كل ما تملكني في ذلك الوقت، لأنني حين جلست قريبا منها في الغرفة ببيت "كوروموجاوا"، لاحظت أن كثيرا من أسفي قد خبا فعلا. من المحتمل أن رغبتي قد أضعفتها حقيقة أني لم أكن عفيفا. لكن السبب الأساسي، هو أنها لم تكن كما توقعت. حين جلست معها وجها لوجه، وجدت أنها لم تكن صورة للجمال المثالي الذي تخيلته للسنوات الثلاث الماضية. كانت بعيدة عن المثال الذي في قلبي. كسا مسحوق رصاصي وجهها بكثافة ففقد وجهها معظم توزده وسحره الناعم، كما تشكلت حلقات قاتمة تحت عينيها. كانت عيناها السوداوين، الممتلئتين، الصريحتين، هما ما بقي فيها دون تغيير. عندما رأيتها في هذا الضوء الجديد، صدمت، ورغما عن نفسي، لم أستطع ألا أحول عيني بعيدا.

ثم كيف حدث أن مارست الجنس مع امرأة ارتبطت بها هذا الارتباط الضئيل جدا؟ أولا، دفعتني رغبة غريبة لأحقق رغبة قلبي السابقة. أما هي فقد حاكت لي قصة متعمدة مبالغا فيها عن حبها لزوجها ونحن جالسين وجها لوجه. لم تخلف شيئا سوى رنين فارغ في أذني. فكرت **"أن لديها فكرة صلفة عن زوجها"**، كما شككت أيضا بأن تلك الفكرة مدفوعة بميلها لأن تلهب رغبتي. عمل كشف افتراءها علي، في نفس الوقت، بقوة أكثر وأكثر. لماذا اعتبرت ذلك افتراء؟ إذا أخبرتني، أيها القارئ العزيز، أن وهمي الخاص قد قادني إلى الشك في كذب روايتها، فأنا لا أستطيع إنكار اتهامك. لكني آمنت، على الرغم من هذا، ومازلت أومن، حتى الآن، أن ذلك كان مجرد كذبة.

لم تكن رغبة الغزو، هي كل ما تملكني في تلك اللحظة. أخجل أن أذكر أنني كنت تحت سطوة الشهوة. لم يكن فقط مجرد أسف، أنني لم أعرف جسمها. كانت شهوة أساسا من أجل الشهوة، التي لم تكن تتطلب حتى أن يكون الطرف الآخر امرأة. ربما لا يوجد رجل استأجر امرأة في مبغى، لينجز أحقر مما فعلت معها عندئذ.

على أية حال، بعيدا عن مثل هذه الدوافع المختلفة، كان لدي اتصال مع

"كيزا". أو علي الأصح، أخزيتها. أود أن أسأل الآن نفسي كي أعود للسؤال الأول، الذي طرحته سابقا إذا ما كنت قد أحببتها. حين انتهى الفعل، رفعتها بقوة بين ذراعي .. هذه المرأة، التي انطرحت باكية. ثم بدت أكثر خزيا مني. أشار كل من شعرها الأشعث، وجسمها المتعرق، إلى دمامة عقلها وجسمها. ولن أكون مخطئا في أن أقول أنه تولدت في قلبي كراهية لها منذ ذلك اليوم. وهذه الليلة، سأقتل رجلا لا أكرهه، من أجل خاطر امرأة لا أحبها.

- **دعينا نقتل واتاري.**

همست في أذنها. لاشك أنني أصبحت مجنونا حقا، حتى انني تقدمت بمثل هذا الاقتراح الوقح. تنفست في أذنها متحيزا برغبتي في تحدي "واتاري" في معركة لأفوز بحبها. همست، على أية حال، **"دعينا نقتل واتاري"**، وأنا شديد التأكد من أنني أهمس ضاغطا على أسناني بإحكام، رغما عن نفسي. عندما أنظر الآن إلى الوراء، لا أستطيع أن أوضح ما حثني على اقتراح هذا الفعل الطائش. كل ما يمكنني أن أفكر به، كي أوضح ذلك، أنني أردت أن أصلح العلاقة في ذلك الوقت، وكلما احتقرت ذلك، وكرهتها أكثر، أصبحت نافد الصبر لجلب مزيد من الخزي عليها. لا شيء يمكن أن يكون مناسبا أكثر لهذه الأغراض من أن أقتل الزوج، الذي تظاهرت هي بحبه، لأنتزع موافقتها، سواء أشارت أم أبت. لذلك، لابد أنني أقنعتها مثل رجل في كابوس، بعد إلحاح من نفسينا بارتكاب القتل، الذي لا أرغبه. إذا لم يكف ذلك لتوضيح دافعي لاقتراح قتل "واتاري"، فليس هناك توضيح آخر يمكن أن أحاول طرحه، سوى أن قوة مجهولة من الفانين (ربما شرير أو شيطان) قادتني إلى فعل شرير، فهمست بنفس العرض في أذنها بإصرار مرارا وتكرارا.

رفعت وجهها أخيرا، وقالت:

- **نعم، ينبغي أن تقتل "واتاري".**

لم تكن موافقتها الجاهزة هي وحدها التي فاجأتني، فقد رأيت أيضا بريقا غامضا في عينيها لم ألحظه من

قبل. زانية، ذلك هو الانطباع. الذي تركته في عندئذ. كان هناك فورا إحباط ورعب، ووميض احتقار عبر عقلي المحموم. كان ينبغي أن أنهي وعدي فورا، إذا كان ذلك ممكنا، ثم أسمها بأنها زانية. وقد اتخذ وعيي من سخط الاستقامة ملاذا. لكنني لم أكن قادرا على أن أفعل ذلك. أعترف أنني رأيت استحالته المطلقة في اللحظة التي حدقت فيها إلي. تعكر مزاجها كما لو أنها رأت أعماق قلبي. سقطت في محنة حزينة لتحديد موعد قتل زوجها، بسبب خوفي من أنها ستنتقم مني إذا فشلت في تنفيذ نصيبي من الصفقة. أصبح لهذا الخوف الآن قبضة شبه ملزمة قوية ودائمة. اضحك، إذا شئت، من جبني. هذا هو فعل فرد يعرف حقا كيف يمكن أن تكون مساندة عشيق. فكرت بيأس ناظرا إلى عينيها الباكيتين دون دموع: **"إذا لم أقتل زوجها، ستقتلني هي بطريقة أو بأخرى. ينبغي أن أقتله، وإلا ستقتلني"**. بعد أن أديت القسم، ألم أكتشف ابتسامة على فمها؟ وبرزت غمازة وجنتها الشاحبة؟ آه، بسبب هذا الوعد الملعون سأضيف جريمة قتل شنيعة إلى أسود قلب يمكن تخيله. إذا أمكنني أن ألغي هذا الموعد المنتظر الذي سينفذ الليلة ... لا، لأن قسمي يمنعني. إن هذا أكثر مما يمكن احتماله. هناك أمر اخر فأنا أخاف من انتقامها. إن هذا صحيح تماما. لكن هناك شيئا آخر يحثني على العمل. ما هو هذا الشيء؟ ما هي هذه القوة العظيمة التي تدفع هذا الجبان "أياي"، لقتل رجل بريء؟ لا أستطيع أن أقول. لا أستطيع أن أقول. لكن من المحتمل ... لا، لا يمكن أن يكون ذلك. إنني أحتقرها. أخافها. أكرهها. وعلاوة على ذلك، علاوة على ذلك، ربما لأني أحبها".

واصل موريتو خطوه دون أن يقول المزيد. انسابت أغنية شعبية وسط الليل:

"يعيش عقل الإنسان في الظلام، دون أي ضوء ينير له

انه يشعل نار اهتمامات دنيوية، تمضي وتأفل في ومضة"

الجزء الثاني

استغرقت "كيزا" في التفكير، تحت ضوء مصباح في الليل، ممسكة بثوبها، واقفة بظهرها نحو الضوء.

مناجاة كيزا

"أتساءل عما إذا كان سيأتي أم لا. من المستبعد تماما ألا يأتي. يخبو القمر فعلا، دون أن أسمع أية خطوة، ربما غير رأيه. إذا لم يأت. سأعيش في خزي يوما بعد آخر. مثل داعرة. كيف ضعت تماما في الخزي والشز؟ لن أكون أفضل من جثة ميت رميت على قارعة الطريق. سأخزى، ويداس علي، ويتكشف خزيي أمام الضوء. رغم أنني يجب أن أكون صامتة خرساء. في تلك الحالة، سأحمل أسفي إلى القبر. أنا واثقة أنه سيأتي. منذ اللحظة التي نظرت فيها إلى عينيه، حين افترقنا قبل أيام، كان فيها اتهامي. هو خائف مني. انه يكرهني ويحتقرني رغم خوفه مني. في الحقيقة، كان ينبغي أن أعتمد على نفسي فقط، فلا يمكنني أن أكون واثقة منه. لكنني أعتمد عليه، أعتمد على أنانيته، أعتمد على الخوف الحقير الذي تثيره فيه تلك الأنانية.

لكنني الآن لم أعد أستطيع الاعتماد على نفسي، يا لي من إنسانة تعسة! حتى قبل ثلاث سنوات، كانت لدي ثقة في نفسي، وقبل كلّ شيء في جمالي! قد يكون أكثر صدقا أن أقول **"حتى ذلك اليوم"** عن قولي **"قبل ثلاث سنوات"**. عندما قابلته في ذلك اليوم في غرفة بيت عمتي، أظهرت لي مجرد نظرة إلى عينيه مدى انعكاس قبحي في ذهنه. قال كلمات محبة مريحة لي، باديا كما لو أنه ليست هناك أية مشكلة. لكن كيف يمكن لقلب امرأة أن يرتاح مزة، إذا عرفت بنفسها مدى قبحها؟ لقد كبحت شهواتي، روعت، وحزنت. كم كان أفضل عدم الارتياح البشع لكسوف القمر الذي رأيته وأنا طفلة بين ذراعي ممرضة، مقارنا باليأس الشبحي، الذي أظلم به عقلي في تلك اللحظة! تلاشت كلّ الرؤى والأحلام التي كانت بقلبي. كفنتني الوحدة في يوم ممطر بهدوء، مرتعشة بالعزلة، سلمت جسمي أخيرا، الذي كان جيدا،

إلى ذراعي رجل لم أحبه. .. إلى ذراعي رجل فاسق، يكرهني، ويحتقرني. هل استطيع احتمال وحدتي، طالما كان قبحي حيا واضحا لي؟ هل حاولت دفن كل شيء في تلك اللحظة الهاذية أثناء وضع وجهي على صدره؟ أم أنني تحركت مدفوعة بمجرد رغبة مخزية، كما كان هو؟ هيمنت علي فكرة مخزية! الخزي! الخزي! خاصة حين نزعت نفسي من بين ذراعيه، كم كنت أحس بالخزي!

جلب الانزعاج والوحدة دموعا لانهائية إلى عيني علي الرغم من جهدي لكي لا أبكي. لم أكن حزينة فقط لأنني خزيت، بل لأنني عذبت وتألمت قبل كل شيء، لأنني كنت محتقرة مثل كلب مجذوم، كره وعذب. ماذا فعلت منذ ذلك الحين؟ أمتلك فقط ذاكرة أكثر إبهاما، كما لو كانت شيئا من ذلك الماضي البعيد. أتذكر فقط صوته المنخفض هامسا" **دعينا نقتل واتارو**"، وقد مس شاربه أذني، بينما كنت أنشج. شعرت بنفسي، في اللحظة التي سمعت فيها تلك الكلمات، مفعمة بالحياة بغرابة. نعم، شعرت بحياة، لامعة كقمر شاحب، إذا أمكن أن يقال لامعا عن ضوء قمر. مع ذلك، ألم تريحني تلك الكلمات؟ آه، ألست .. امرأة، كائنا، تشعر ببهجة أن يحبها رجل، حتى لو تحتم عليها أن تقتل زوجها؟

واصلت البكاء لبعض الوقت بمشاعر متوحدة وحية مثل ضوء قمر. متى وعدت، في أي وقت مضى، بتقديم يد العون في عملية قتل زوجي؟

لم يكن زوجي حتى عندئذ، قد دخل فكري. بأمانة أقول "**لم يكن حتى عندئذ**". كان فكري، حتى ذلك الوقت، مشغولا بنفسي وعاري. ثم رأيت صورة وجه زوجي الباسم. من المحتمل أنه في اللحظة التي تذكرت فيها وجهه ومضت الخطة عبر عقلي. كنت في ذلك الوقت، قد قررت أن أموت، وكنت سعيدة بقراري. لكن عندما توقفت عن البكاء، رفعت وجهي، وتطلعت إليه لأجد قبحي منعكسا عليه. شعرت كما لو أن كل بهجتي قد تلاشت. وهو ما ذكرني بكسوف القمر الذي رأيته مع

ممرضتي. ذلك، أذا جاز التعبير، هو ما أطلق فورا كل الأرواح الشريرة الكامنة تحت ستار بهجتي. لكن أهو حقا بسبب من حبي لزوجي، أنني سأموت من أجله؟ لا، بل إنني وراء مثل هذه الذريعة المعقولة بشكل مجزد، كنت أريد التكفير عن ذنبي، لكوني أقمت علاقة مع آخر، مفتقدة شجاعة الانتحار، أصبحت لدي رغبة أنانية لترك انطباع طيب في الجمهور. ربما يمكن لحقارتي هذه أن تغتفر. تحت ذريعة الموت من أجل زوجي، ألم أكن أخطط كي أنتقم لنفسي من كراهية حبيبي، واحتقاره لي، وشهوته الشريرة؟ لقد أثبت ذلك، بمجزد لمحة إلى وجهه، أبعدت شرارة الحياة الغامضة، التي كانت مثل ضوء قمر شاحب، وجلدت قلبي بالحزن. سأموت، لكن ليس بسبب زوجي، بل من أجل نفسي. سأموت، كي أعاقب حبيبي، الذي آذى قلبي، ولحقدي عليه بعد أن لطخ جسمي. أوه، إنني لا أستحق الحياة، بل ولا أستحق الموت أيضا.

لكن، الآن، كم يصبح الأمر أفضل لو أموت موتا مخزيا عن أن أعيش. أبتسم ابتسامة مغتصبة، فقد وعدت بقتل زوجي مرارا وتكرارا. لكن طالما أنه فطن، فلابد أنه استشعر من كلماتي أي عواقب قد تحدث إذا أخل بوعده. لذلك، يبدو مستحيلا، بعد ذلك الوعد، أن يتراجع. هل هذا هو صوت الريح؟ متي اعتقدت انّي سأشعر بالراحة لأن مآسي من ذلك اليوم ستنتهي أخيرا الليلة؟ لن يخفق الغد في تسليط ضوئه البارد على جسمي الأحمق. إذا رأى زوجي ذلك، سيـ .. لا، لا أريد أن أفكر فيه. زوجي يحبني. لكن، ليس لدي قوة لاستعادة حبه. يمكنني أن أحب رجلا واحدا فقط. ذلك الرجل المحدد قادم الليلة لقتلي. بدا أنه حتى الشمعة تومض بشدة من أجلي، معذبة مثلي من قبل حبيبي".

تطفئ "كيزا" الشمعة. سرعان ما يسمع صوت خافت لفتح مصراع، ويفيض ضوء قمر شاحب.

انتقام دنكيشي

هذه قصة ابن بار هو «دنكيشي»، وكيف انتقم لمصرع أبيه.

كان دنكيشي الابن الوحيد لمزارع، عاش في قرية «ساسایاما - شينشي». يبدو أن «دنزو»، الأب، اعتبر في قريته وغدا. يقال أنه أحب الشراب، والمقامرة، والقتال. يقول بعض الناس أن أم دنكيشي ماتت مريضة في السنة التي ولدت فيها دنكيشي. طبقا لآخرين فانها فزت مع شخص ما.

وقعت أحداث هذه القصة، على أية حال، في ربيع السنة السابعة من عهد تنبو[20]، حين كان دنكيشي في الثانية عشرة من عمره. (يقول البعض أنه كان في الخامسة عشرة)

ذات يوم، أوقع المعلم «هاتوري هيشيرو» من «اشيجو» دنكيشي أرضا تقريبا، حين غضب منه بسبب حادث صغير.

كان هيشيرو في ذلك الوقت يعمل حارسا لمقامر يدعي «بنزو».

هناك حكايات مختلفة للحادث.

طبقا لكتاب **«حكايات المسافرين» لتاشيرو جينبو**، حدث أن علق دنكيشي طائرة ورقية علي حلية رأس «هيشيرو».

من ناحية أخري، فقد نشر علي كتلة خشبية وضعت علي قبر دنكيشي في معبد جيشوجي بقرية ساسایاما، نشرة عنوانها **«قصة دنكيشي البار»**.

طبقا لتلك النشرة، فان دنكيشي لم يرتكب أي شيء خاطئ. كان يصطاد سمكا، حين أقبل هيشيرو نحوه بالصدفة، وحاول أن ينتزع منه قصبة صيد السمك، فقاومه دنكيشي.

أخيرا، طبقا لكتاب **«سير المزارعين الذاتية» للمؤلف «كويزيمي كوشو»**، فان حصانا قاده دنكيشي بحبل إلي حقل أرز رفس هيشيرو عرضا.

علي أية حال، حاول هيشيرو في نوبة غضب أن يوقع دنكيشي أرضا. حاول دنكيشي الهرب، فهرول إلي الحديقة حيث كان يعمل والده.

كان الأب يعمل وحيدا، مائلا نحو بعض أشجار التوت في الحديقة. عارفا بالخطر الذي يتعرض له طفله، أخفاه في حفرة لحفظ البطاطا على عمق ثلاثة أقدام في الأرض.

غطى دنكيشي رأسه بحزمة قش ووارى نفسه حابسا أنفاسه.

سرعان ما اقترب هيشيرو من دنزو، وسأله:

- **أين ذهب الولد؟**

ولكون دنزو، يشبه ذلك الوغد، فقد خدعه قائلا:

- **لقد هرب إلى هناك.**

بدأ هيشيرو بالتحرك في ذلك الاتجاه، لكنه رأي دنزو يضحك في عبه، فصاح:

- **أيها الفلاح! كيف تجرؤ على أن تسخر مني؟**

وضرب دنزو.

قاوم دنزو الضرب مغضبا بمعزقته.

تصارع الاثنان بتهور لفترة، لاعتيادهما على القتال.

لكن رغما كان هيشيرو أكثر مهارة بقليل من دنزو، الذي تعب بسهولة. راوغ هيشيرو الطعن، وتجنب المعزقة، وجرح أخيرا كتف دنزو بسيفه.

حين حاول دنزو الهرب، قطع هيشيرو رأسه.

مسح هيشيرو سيفه بدم بارد وانصرف وهو مازال غافلا عن دنكيشي.

حين خرج دنكيشي من الكهف، شاعرا بالتشوش، وجد والده دنزو ممددا ميتا علي جذر بازغ لشجرة توت.

مكث هناك مدة، متعلقا بجسد دنزو.

صعد، بدلا من ذلك، شعور آخر إلى ذهنه كوهج.

كان غاضبا من نفسه لتركه أبيه لمصيره، غضبا لا يموت أبدا. يجب أن ينتقم له.

ليس من المبالغة القول، أنه بدءا من ذلك اليوم فصاعدا، كان دنكيشي تقريبا طيلة حياته، مسكونا بهذا الغضب.

بعد جنازة أبيه، ذهب دنكيشي للعيش كخادم في بيت عمه في ناجاكيبو.

كان عمه، ماسيبا زنساكي يدير حانة أحوالها منتعشة.

خلال سكنه في مساكن الخدم، حاول دنكيشي البحث عن طريق للانتقام لمقتل أبيه.

هناك عدة وجهات نظر، حول هذه الظروف.

طبقا لكتابي **«حكايات المسافرين»**، و **«أبطال مزارعون»**، فإن دنكيشي عرف منذ البداية أسم عدوه.

ولكن طبقا لنشرة **«حكاية دنكيشي البار»**، فقد بدا أن ثلاث سنوات انقضت قبل أن يعرف اسم عدوه **«هاتوري**

هيشيرو».

جاء في فقرة «**حول دنكيشي**» من كتاب «**الأوراق**» **لميناجاوا شون**، ان دنكيشي احتاج إلى عدة سنوات كي يكتشف اسم عدوه.

طبقا لكتاب «**أبطال مزارعون**»، وكتب أخري، تعلم دنكيشي مبارزة الكندو[21] من معلم، اسمه هيراي سامون.

يبدو أن سامون كان يعلم فن المبارزة بأسلوب مدرسة «**هوكيشين – ميسوريي**»، لمن يرغب في تعلمه في أوقات فراغه بعد تعليم القراءة والكتابة للأطفال في ناجاكيبو.

لكن طبقا لكتب «**حكاية دنكيشي**»، و«**حكايات المسافرين**»، و«**الأوراق**»، علم دنكيشي نفسه، داعيا شجرة ذات مزة باسم عدوه، ومسقيا صخرة مزة أخري باسم هيشيرو.

وعلي الرغم من مجهود دنكيشي، فان هاتوري كيشيرو اختفي فجأة في السنة العاشرة من عهد التنبو. لم يكن ذلك لأن هيشيرو خاف من دنكيشي، بل لمجرد أنه مضى يتجول بعيدا. خاب أمل دنكيشي لمغادرته، فتأوه بأنه حتى الإله يحمي عدوه علي ما يبدو. وهكذا أصبح عليه أن يقوم برحلة طويلة للانتقام لمقتل أبيه.

لكن كيف يمكن لدنكيشي أن يرحل دون أي أثر ينم عن مكان هيشيرو؟ بدا دنكيشي فاقد الثقة، وهو ينغمس تدريجيا في الملذات.

شرح المؤلف في كتاب «**أبطال فلاحون**» التغير الذي طرأ على دنكيشي بأنه محاولة للارتباط بالمقامرين ليعرف منهم مكان عدوه.

قد يكون هذا أحد التفسيرات.

أصبح دنكيشي تابعا لماتسيجورو، ، بعد أن أقصاه بعيدا عن «ماسبا»، ذلك المقامر الذي اشتهر أيضا باسم «تيماري نو ماتسي»

يبدو أن دنكيشي عاش حياة احتيال لمدة تقارب عشرين عاما.

قيل في كتاب «**الأوراق**» أن دنكيشي اختطف ابنة

«ماسيا»، وابتزّ شخصا ما في ناجاكيبو.

لكن، لأنه لم يأت ذكر الحكايتين في كتب أخري، فلا ينبغي أن نتسرع في قبولهما كحقيقة.

قال المؤلف في كتاب **«أبطال فلاحون»**، ان **«هناك إشاعة بأن دنكيشي قد ارتكب عدة جرائم، لكن لا ينبغي أن نصدق مثل هذا الحديث اللامسؤول. لقد كان ابنا بارا أراد الانتقام لمصرع أبيه. لا يمكن أن يكون ذلك المحتال الذي يصفونه»**

يبدو أن الانتقام ظلّ عالقا بذهن دنكيشي حتى في تلك الأيام.

كتب ميناجاوا تشين، الذي كان متحدثا، غير متعاطف تماما مع دنكيشي هذه الفقرة:

«لم يخبر دنكيشي زملاءه أبدا أن له عدوا. أما من كانوا يعرفون ذلك، فقد تظاهروا أنهم لا يعلمون شيئا عن اسم عدوه. ينبغي أن يكون ذلك مثالا للرجل الطموح»

مع ذلك، مز الوقت دون جدوى.

لم يعرف أحد شيئا عن مكان هيشيرو كما كان الأمر دائما.

في الخريف السادس من عهد أنسي[22]، علم دنكيشي أن هيشيرو عاش في قرية كيراي.

لم يعد لهيشيرو مظهر ساموراي الذي كان له.

قص شعره، وأصبح قيما علي كوخ جيزو بقرية كيراي.

شكر دنكيشي الله لأنه قاده إلى هيشيرو.

كانت قرية كيراي تبعد بمسافة تقل عن عشرين كيلومترا من ناجاكيبو.

كان دنكيشي حسن الاطلاع على كلّ طريق صغيرة في قرية كيراي.

من المؤكد أن هيشيرو غير اسمه إلي جوكان، وسعى دنكيشي منفردا إلى الانتقام في السابع من سبتمبر من العام السادس من عهد انسي، مرتديا من أجل السفر قبعة من نبات البردي، ومعطف مطر، مع سيف طويل على خصره.

كانت قد انقضت ثلاث وعشرون سنة منذ مصرع والده.

دخل دنكيشي قرية كيراي بعد السابعة مساء بقليل.

كان يفضل الليل، لكي لا يزعجه الآخرون.

اقتفى دنكيشي أثر طريق ريفي بارد معتم أثناء ذهابه إلى كوخ جيزو على سفح جبل.

حين اختلس النظر من شق الباب الورقي المنزلق، أمكنه فقط أن يرى ظلا كبيرا على الحائط المضاء بتؤدة.

مع ذلك استطاع أن يرى هيكل شخص في الظل.

أثبت الظل الكبير بكل تأكيد، انه شعر شخص انتهى بالقص.

بدا أنه ليس من حاضر هناك سوى القيم المتوحد.

قلب دنكيشي قبعته النباتية رأسا على عقب فوق حجر بامتداد الكوخ أولا

ثم خلع معطفه المطري خلسة ووضعه على القبعة طاويا إياه طيتين.

كان كل من القبعة ومعطف المطر مخضلين بشدة بندى المساء.

شعر دنكيشي بحاجة إلى أن يريح نفسه تحت شجرة طلاء.

لاحقا، احترم تاشيرو جنبو جسارته لذلك السلوك، كما قزظ كويزيمي كوشو أيضا كون دنكيشي شجاعا.

بعد أن هيأ دنكيشي نفسه، ساحبا سيفه الطويل، فتح الباب المنزلق لكوخ جيزو.

وجد كاهنا يجلس بيسر أمام مصطلى بساقيه متقاطعين.

قال الكاهن، وهو مازال عارضا ظهره:

- **من أنت؟**

شعر دنكيشي أنه ارتكب خطأ

أولا، لم يبد مظهر الكاهن، مثل الرجل الذي كان عدوه.

ثانيا، بدا ظهره متهرئا أكثر بكثير مما توقع دنكيشي في ذهنه.

ارتبك دنكيشي لوهلة، كما لو أنه أخطأ الهوية.

لكن، لا ينبغي عليه أن يتردد

قال دنكيشي للرجل، مغلقا الباب المنزلق وراء ظهره:

- **هاتوري هيشوري!**

التفت الكاهن للوراء نحو ضيفه دون دهشة.

عند رؤية السيف المسحوب، رفع بشكل مؤقت ركبته تحت العباءة الاكليركية.

اتضح على ضوء المصلي، أن وجه الكاهن وجه عجوز متغضن.

لكن دنكيشي تعرف بوضوح على هاتوري هيشيرو من مكان ما في وجهه.

تساءل الكاهن:

- **بالله عليك، من أنت؟**
- **أنا دنكيشي، ابن دنزو ربما تتذكر ما فعلت.**

فتح جوكان عينيه على سعتهما متطلعا إلى دنكيشي بصمت.

أظهرت ملامحه خوفا يتعذر وصفه.

رفع دنكيشي سيفه باتجاه جوكان، مستمتعا بالخوف بلامبالاة.

- **الآن، أنا هنا كي أنتقم لدنزو. انهض وواجهني!**
- **هل تطلب مني النهوض؟**

ابتسم جوكان فجأة.

شعر دنكيشي ببعض القوة في ابتسامته.

- **هل تعتقد أنه يمكنني النهوض، كما في السابق؟ إنني الآن مشلول. بكلمات أخرى، شخص ضعيف.**

تراجع دنكيشي للوراء خطوة، دون تفكير. وتصادف أنه كان مدركا لارتعاش سيفه.

أبرز جوكان فما بلا أسنان وهو ينظر إلى دنكيشي.

- **لم أعد أستطيع فعل أشياء كثيرة، مثل أن أنهض واقفا.**
- **كذاب! أنت لا تستطيع خداعي!**

صرخ دنكيشي بيأس. لكن جوكان أصبح، بأناة على العكس، أكثر ارتياحا.

- **كيف يمكن أن تكون تلك كذبة؟ اسأل الناس في هذه**

القرية. لقد أصبحت مشلولا بعد مرض خطير في العام الماضي.

توقف جوكان عن الكلام لوهلة، ناظرا إلى دنكيشي في عينيه، وقال:

- **لكنني لست جبانا. لقد قتلت والدك حقا، إذا أردت حقا أن تثأر لنفسك من مثل هذا المشلول، سأدعك تفعل ذلك بشجاعة.**

هاجمت دنكيشي، في فترة صمت قصيرة، مشاعر عديدة من كراهية وشفقة، احتقار، وخوف.

جعله فيضان تلك المشاعر مترددا.

ارتبك دنكيشي، محدقا إلى جوكان، مترددا بين أن يقتله أم لا.

- **اقتلني!**

هز جوكان كتفه تقريبا بغطرسة كما لو أنه يتحدى دنكيشي.

حدث في تلك اللحظة، أن شم دنكيشي رائحة الخمر في أنفاسه، فشعر بالغضب السابق يتصاعد في رأسه.

كان غاضبا من نفسه، لأنه ترك أباه في وقت حرج.

كان غاضبا من أنه لم يستطع أن يمحو ذلك دون الانتقام بكلّ السبل.

ما أن استثار دنكيشي نفسه بعنف حتى قطع رقبة جوكان بسرعة البرق.

سرعان ما شاعت قصة انتقام دنكيشي الجديرة بالإعجاب في المنطقة بأسرها.

لم يعاقب المسئولون الابن البار، بطبيعة الحال.

بيد أنه لم ينل جائزة، طالما أنه لم يقم بتنفيذ الانتقام في وقت مبكر.

من المثير للشفقة، أنه لم يعد متاحا في هذه القصة، أن نتحدث عن دنكيشي بعد ذلك.

ووفقا لحديث فج، فأن دنكيشي أصبح تاجر خشب بعد حرب الميجي المدنية. لكن مشروعه فشل مرارا وتكرارا، وجن في النهاية.

مات وهو في الثالثة والخمسين من عمره في الخريف

العاشر للميجي.

لم تتحدث الكتب عن أيامه الأخيرة بالمثل.

أنهي مؤلف **"قصة دنكيشي البار"** كتابه بما يلي:

"ازدهرت أحوال دنكيشي وعائلته، وعاش حياة سعيدة.

أثبت صحة المثل القائل بأن شخصا ذا مزية طيبة يعيش حياة سعيدة.

وكانت بداية جديدة. بداية جديدة"[23] .

صدر للمترجم

---

20 هو اسم تقويم ياباني، يمتد خلال الفترة من ١٨٣٠ – ١٨٤٤، أثناء حكم الإمبراطور الياباني نينكو تينو.

21 الكندو: هو فن المبارزة الياباني الشجاع بقصبات البامبو.

22 هو اسم تقويم ياباني، يمتد خلال الفترة من ١٨٥٤ – ١٨٦٠، أثناء حكم الإمبراطور كومل تنو.

23 هي ترجمة «Nam – Amidabu, Nam – Amidabu. »، التي كانت موجودة بالنص.